أوراق القلب ٧

دار الشروق

دكتور محمّد الجوّادي

أوراق القلب

دار الشروق

أوراق القلب

الطبعـة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس ٨٦٧٥٥٥ - تلكس SHOROK 20175 LE

الغلاف : الفنان محمد حجى
اللوحات الداخلية · الفنانة حنان محمود حلمى
الخطوط . محمود إبراهيم

إهـــداء

إلى روحٍ حائرة بين الحق والأحق

هذا الكتاب

هذه مجموعة من الرسائل القصيرة كتبتها لنفسى لأعبر لها عن تجربتها الشعورية حين كان فى وسعها أن تنفعل بالإحساس وأن تترجم الإحساس إلى شعور، وأن تصوغ المشاعر بعد ذلك فى كلمات .

قد يكون هذا الكتاب مناجاة .

وقد يكون هذا الكتاب مداواة .

وقد يكون هذا الكتاب محاولة من المحاولات التى يبذلها الوعى الباطن فى التغلب على الوعى الظاهر .

وقد لا يكون أياً من هذا كله .

بيد أننى احب أن أعترف أنى لم أقصد إلى كتابة هذا الكتاب حين بدأت كتابة هذه الرسائل الشعورية القصيرة منذ أخريات ١٩٨٨ ... وأحب أن أعترف أنى كذلك لم أقصد نشره حتى وجدتنى ماضياً فى كتابة هذه الرسائل بدون أن أدرى أنها قد تكون هذا الكتاب الذى بين يديك اليوم ياسيدى القارىء .

وأحب أن اعترف أيضا أننى ترددت فى نشره .. وأننى اخترت له أكثر من ثلاثين عنواناً حتى الآن ، وأننى أطلعت عليه نفراً من الزملاء

والزميلات فيما لم يحدث مع أى عمل آخر لى ، لأنى كنت ـ وربما لازلت ـ خائفاً تماماً من أن أنشر مثل هذه المناجاة على الملأ .

أترانى اعتذر سلفا .. أم ترانى أحرر نفسى من الخوف .. أم ترانى أدفع نفسى إلى اتخاذ موقف الشجاعة الأدبية .. أم ترانى (وهذا هو الأرجح) اتحوط واتحسب واتظاهر بأنى أقدم ساقاً وأؤخر الثانية بينما قدماى قد تجاوزتا الخط الأحمر بخطوات واسعة ؟ إذ لا يغيب عن عقلى أن الكلمة تخرج من فم الإنسان فتلقى به فى النار، وأعوذ بالله الغفور الرحيم من أن أكون من الذين يتبعون هواهم ، وأعوذ بالله أيضاً أن أكون من الذين يتظاهرون بعصيان الهوى بينما هم يتبعونه ، وأعوذ بالله ثالثاً من أن اكون من الذين يتظاهرون بالهوى من دون أن يكون لهم منه نصيب . وقبل كل هذا أعوذ به سبحانه أن أَضِل (أو أُضَل) أو أُضِل أحداً من الذين يبغون الهدى والرشاد .

يونيو ١٩٩٤

محمد الجوادى

رسائل الأماني

١ـ أعظم الاتفاقات

يقولون يافتاتى إن أعظم الاتفاقات هو ذلك الاتفاق غير المكتوب، فإن عظمته تجعلـه أقوى من أن يلجأ أصحابـه إلى كتابته ، وعلى هـذا النحو فعل الانجليز حين وضعوا دستورهم وهم سادة الدنيا

ولكننى بحبك يـافتـاتى اكتشفت أن هنـاك نـوعـاً أرقى وأعظم من الاتفاقـات وهو الاتفاق غير المنطـوق ، الذى يجد نفسه من قـوته فى غير حـاجة إلى الكتـابة ولا النطق فـلا يضيع من ذاته ولا من قيمتـه ولا من روحه ولا من جوهره جهداً فى تسجيل حدوثه نطقاً أو كتابةً .

.. وأحب أن أعترف لك يـافتاتى أنى لم أكن أعـرف أن فى الدنيـا هذا النوع من الاتفاقات، لأنى لم أر له نموذجاً أبداً .... إلى أن عرفتك وعرفت ما بيننا وحـاولت فهمه فإذا هو ذلك الاتفاق الـذى ترتفع قيمته إلى أعلى الآفاق . ليكون فوق المكتوب ، وفوق المنطوق ، وفوق الناس أجمعين .

٢ـ الضياع والوجود

حين عرفتك يافتـاتى ضيعت روحى ولكنى وجدت نفسى .. بيد أنى فى معـرفتك أحس أننى سأضيع دمى .. فهل يـاتـرى استرد روحى إذا ضيعت دمى؟ .. أغلب الظن يـافتاتى أنـه بعد أن يضيع دمى ، ستعـود

روحى إلى هـذه الدنيا محملـة بحبك لتحل فى جسد شخص آخـر يحبك فيجد نفسه تضيِّع أو تضيع روحه .. ثم يضيع دمه ، وتذهب روحه إلى عالم الغيب مرة أخرى محمله بحبك!!.

٣ـ الأنين والحنين

كنت أنظر إليك وأنا أتوجس خيفـة .. ثم أملأ النظر فلا تتملى عيناى منك .. ثم أبعد النظر وأنا مغض الطرف انبهـاراً ثم حياء .. ثم أنا اليوم قادر على أن أنظر .. ولكنى أترهب النظر ، فإذا تمالكت نفسى ونظرت .. لم اتمالك نفسى بعـدهـا .. فـروحى فى حاجـة إلى وسـادة من صـدرك الحريرى .. وقلبى فى حاجة إلى عناق أنـاملك الفولاذية ! .. وهذا غصنك الرقيق يتحامل عليه حبنـا فيصبر على هذا الحب .. فإذا نحن وقد أثقلنا عليه وحملنـاه مالا يطيق .. نريـد أن نبنى عش حبنا فوقـه .. وهو يحن ويئن .. هل نظلم حنـانه أم نـرضى أنينه ..... إن مكمن الصعـوبة أن فى إرضاء أنينـه ظلم للحنين .. وكذلك فـإن فى إرضاء حنينه ظلـم للأنين .. أيهما نرضى .. وأيهما نظلم؟ كلاهما مرضى وكلاهما مظلوم . وكلاهما سعيد فى كل حين ، لأنهما أنين وحنين .

٤ـ الوصـــول

أنت يافتاتى مخلوقة فـردوسية وصلت إليها من دون أن أمرَّ بحور الجنة...كيف يأتى الحظ هكـذا دفعة واحـدة ! ربما لم أكن قادراً على أن استشرفك لو أنى استغرقت فى حوريات الجنات .. بيد أن الذين يبقون فى

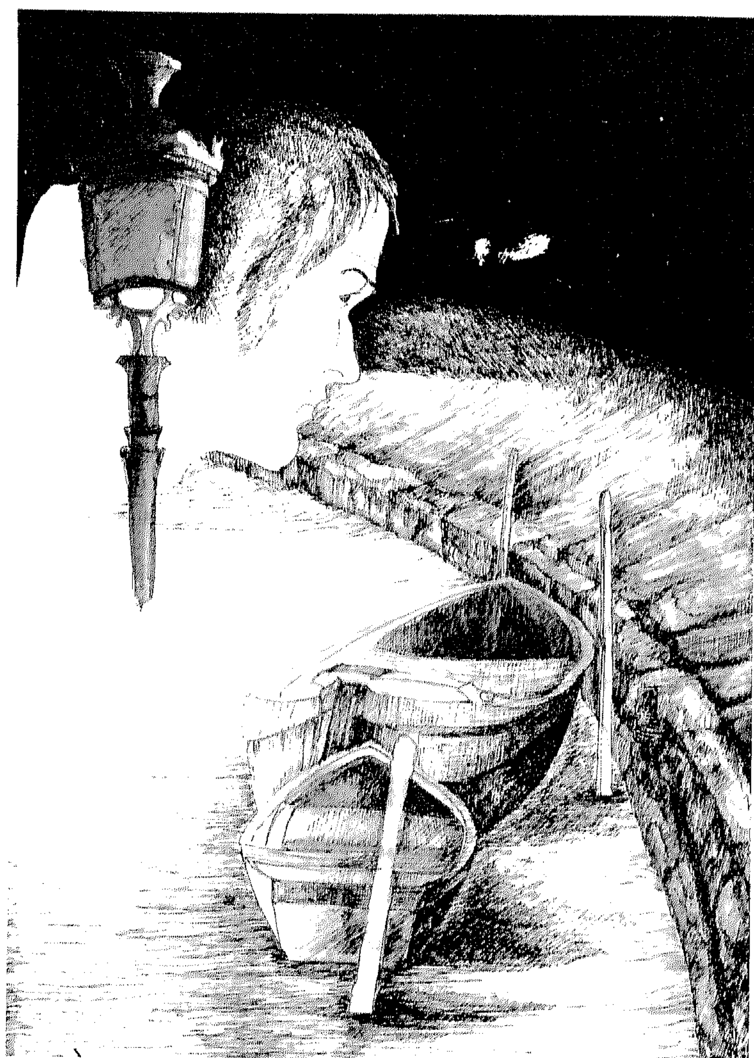
انتظـار طويـل وصبر جميل هم الذيـن يفوزون في النهـايـة بـاللؤلـؤة الفردوسية.

على مـدى السنوات التُي سبقت تـلاقينا يـافتـاتي مزقت أرواحنـا أشواك الهوى . فهل يمكن لهذه الأرواح أن تستأنس بالزهور؟ هل هي سنة الحب ألا نصل إلى الزهور إلا بعد أن يصيبنا الشوك ؟ أم أننا كنا في غيبة عن وعي الحب فلم نعرف أن في الدنيا زهوراً غير تلك الأشواك التي أدمت أصـابعنـا.. وأيهما نشكـر يافتـاتي : الأشـواك التي لم تـدم إلا أصـابعنا فحسب .. أم الزهور التي أدمت قلوبنا إلى مالانهاية !!

أقبلت عليّ يافتـاتي حين كانت الدنيا مُقبلـة عليّ.. ومع هذا تأملت في إقبالكما، فإذا أنا لا أحس في إقبال الدنيا كلها ذرة مما أحسست في إقبالك المتردد .. ولهذا لم يكن أمامي من سبيل إلا أن أضحي بكل ما في الدنيا .. من أجل أمل في إقبالك المتردد هذا .. وأظنني أوتيت الحكمة حين ضحيت، وأوتيت الـدنيا مـرة أخرى حين نلت منك مـالا تنالـه الـدنيا كلهـا من نفسها!!.

٥- الأمـــل

اترقب لقائك حينا بعد حين كمسـافر في عرض البحر تحمله سفينته وهو يستمتع بـالبحر الذي لا نهايـة له، وبـالهواء الطلق من كل جانب، ولكنـه مع ذلك يترقب أن يـرى شـاطىء اللقاء .. حيث يحس سـاعتهـا بالـوصول .. فهو يستمتع حين يلقـاك ، وهو كذلك حين ينتظـرك فوق أمواج ذكـريات لقاءاتك السابقـة ، وبين عبير ريحك وريحانك يأتيه من



جميع الأرجاء، فيحرك سفينته إليك حتـى وإن حاولت الأهواء أن تبتعد به .. أنت يافتاتى قوة المقاومة التى تنتصر على كل الأعاصير إذا راودتها، وتبقى قوتها كامنة فوق الأعاصير حتى تراودها .. أو حتى لا تراودها . فإذا مـالاح الشـاطىء تمنيت أن يكـون خـاليـا من كل عين ، حتى إذا تعانقنا وكان الشاطىء ساحة عناقنا لم يكن يرانا إلا الهواء النقى!! نعم فلا يستحق رؤيتنا ونحن شىء واحد إلا الهواء النقى!!

٦- القلق

لا استطيع أن أنكر أنى أتطلع إلى المستقبل بقلق شديد.. فهل ياترى سأكون قادراً على أن استحوذ بصفـة دائمة على جزء مهما صَغُر فى هذا القلب الكبير الذى يـدير كل هذه الدنيـا من حوله فى سهـولة ويسر؟ هل يكون من حظى أن أنعم بهذه الدنيا التى تتمثل فى شخصك وشخصيتك وآثارك الطاغية التى تبعث فيمن حولك مجمـوعة متدفقة ومتواصلة مُن المشـاعر ليس أولها الاعجـاب وليس آخـرهـا الحب .. وإنما قد يكـون الانبهار أولها بـل بالتأكيـد هو كـذلك ..أما آخـرها فهـذا هو مـا يخافه الإنسان حين يفكر . ولا يتمناه حين يحب.

٧- البداية

هل استطيع أن أحـدثك يافتـاتى كيف كنت أُمنى نفسى بأن أكـون شيئا فى حياتك وأن تكونى شيئـا فى حياتى؟ أم أن الأدعى للتأمل هو أن أقول لماذا؟ ... ولا أقـول كيف؟ وهل أنا قادر حقيقـة على أن أقول لماذا؟

وهل يستطيع الإنسان أن يسيطر على قلبه الذى يبدأ النبض حين لايكون الإنسان شيئا مذكورا بعد، هل يستطيع الإنسان أن يقول لقلبه لا تدق ياقلبى !!. أم أن القلب هو الذى يقول ذلك لصاحبه .. يقولها مرة واحدة وبعدها يصبح الإنسان نفسه فى خبر كان.

هذه هى حقيقة بداية علاقتنا يافتاتى ... لا أستطيع أن أصل إليها بالسهولة التى قد تتصورين لأنى لا استطيع أن أقف من قلبى موقف السائل ولا المستفسر ولا الآمر . إنما أنا له منقاد مطيع .

ومع هذا كله يهيىء لى غرورى أن يعطى دوراً لعقلى إلى جوار دور القلب .. وهى آية أخرى من آيات عجزنا عن تفسير الحقائق الكبرى فى حبنا حين لايكون أمامنا إلا التفسير.

٨- اليقين

تسألينني عن ذلك الجزء منى الذى يدفع ثمن استمتاع بقية نفسى بك، فأقول إنه جفونى التى لم تعد قادرة على أداء وظيفتها الكبرى .. ومن عجب أن راحة جفوننا لا تتحقق إلا وهى تؤدى وظيفتها فى الاسترخاء فوق أعين استقر بالها .. أما فى حالنا فإن جفونى تبقى فى النهار كحالها فى الليل مرتفعة على الدوام فوق عينين أصاب نفس صاحبهما قلق الشوق إلى رؤياك . تريد الجفون أن ترتخى فلا تستطيع .. تحدث نفسها أنها لو بقيت على هذه الحال لعدمت الوظيفة ولعدمت الراحة . ولكن جفونى لا تستجيب لنصح نفسها .. هل يكون فى وسع هذه الجفون أن تستريح حين يكون صاحبها بين يديك لفترات أطول؟

٩ـ حاجتى إليكِ

حاجتى إليك يـافتاتى كحـاجة الطفل الصغير إلى أمه تظن الـدنيا كلها أن فى وسعها أن تعوضه بوسائل أخرى .. ثم لا تلبث أن تصيح بالعودة إلى الأم .. ومع أنه لم يصبنى ضلال البشرية ومع أنى لم أتزحزح عن الايمان بحاجتى إليك .. إلا أننى لا أكف عن الصياح بالعودة إليك ! وقد يبدو هذا كأنى أكرر عشقى فيك بعشقك أنت .. بيد أنك تتجددين فى كل آن .. حتى كأنك فى كل حين يقينا جديداً غير اليقين الذى أسلمت إليه نفسى منذ أبد الآبدين.

١٠ـ العبور

قولى للذين يعارضون حبنا يافتاتى إنى لا أريدك فحسب، ولكنى أريدك على الصورة التى تودينها لنفسك من اكتمال رضائهم عن اختيارنا الذى نُؤهل به أنفسنا له . فإذا لم يكن هذا الرضاء كاملاً، فأنت عندئذ شخص آخر غير الذى يستطيع أن يعطى بقدر ما يحب .. شخص ينقصه قدر كبير من مكونات السعادة .. قدر كفيل بأن يبدد بعض قُدرة هذه السعادة على الاشعاع على من ينتظر أنوارها الهادئة الدافئة.

هل تستطعين يافتاتى أن تتصورى رجلا أعطيته بكل ثقة كل احترامك وكل تقديرك وكل حبك ثم إذا هو يفرط فى بعض هذا الاحترام أو التقدير أو الحب؟؟ إذا استطعت أن تتصورى أن فى الإمكان أن يحدث ذلك ، فلا تفقدى حكمك على الأمور.. ولكن حاولى أن تدافعى عن اقتناعك بهذا الحكم الذى لم تصلى إليه بسهولة ولا فى تسرع.. وتذكرى

يافتاتى أن قـوام الانجاز فى علومنا التجريبية يرجـع إلى مدى تفانينا فى الـوصول إلى صحـة الفروض النى نفنى حيـاتنا من أجل إثبـاتها .. أو نفيها.. ولكن ليس من شأن أمثـالنا يـافتاتى أن يرمـوا بفروضـهم وراء ظهـورهم فى لحظـة من الزمن لمجـرد الاقتنـاع بـاخلاص النـاصحين . فـالاخلاص وحـده لا يكفى لتقـدم الحياة، ومع ذلـك فإن قدراً مـا من الاخلاص لـلأفكار التى قد نقتنع بها فى وقت مٌا، هـو أكبر ضمان لتقدم الحياة.

١١- الإخـــلاص

أريد أن أقـول لك يافتاتى إن الإخلاص مطلـوب من أجل الفكرة كما هو مطلوب فى صاحب الفكرة.. فإن إخلاص المشيرين علينا لا يغنينا أبدا عن إخلاصنا لأنفسنـا .. وإنما يأتى مكانه فى المدار الثانـى حول النواة بما فيها من قـوة هائلـة من الحب الذى يصنع المعجـزات حين تنشطر، ويصنع أضعافهـا إذا اندمجنا .. وهـو مع هذا قد يصنع بنـا الأفاعيل حين نفترق .... وإذا لم يكن فى إمكـاننـا أن نسلك فى حيـاتنـا المدارات المحيطة بنا على النحـو الذى أراده الله لهذه المدارات قربـا وبعدا فسوف نجد أنفسنـا وقد مزقتهـا اقتناعاتنـا غير المرتبة من أمثـال الاقتناع بأن إخلاص المشيرين يغنينا عن إخلاصنا لأنفسنا.. أو كاقتناعنا أن بإمكان محبينا أن يختاروا لنا ما يخصنا.. أو أن يـإمكاننا أن نختار لأنفسنا ما يخص الناس من حولنا!!

١٢- شفتاكِ

فيما بين شفتيك يافتاتى ترتسم صنوف وصنوف من الابتسامات الطبيعية التى تتمثل فيها الزهور جميعاً حين تتفتح لتعطى زهرة بعد زهرة .. ابتسامتك الوردية هى علامة الحب الشجاع، وابتسامتك البنفسجية هى علامة الحب المتنامى، وابتسامتك الأرجوانية هى علامة الحب العميق، أما ابتسامتك الشبيهة بالفل فهى انعكاس لصفاء هذا الحب ونقائه

إن أصعب ما يحيرنى هو كنه هذا الذى قد أشربه من رحيق شفتيك.. فأنا فى الواقع لم أذق أعذب منه على الاطلاق .. ومع هذا فإن ظمأى إليه يزداد إليه عقب كل مرة ارتوى فيها منه.. وهو نفس الشعور الذى يقال إنه ينتابنا حين نشرب من الماء الأجاج .. خبرينى بربك هل رحيقك عذب أم أجاج ؟ .. ودعينا نتعمق هذا الرحيق.

هل هذا الذى نشربه هو السائل السحرى الذى يحفظ للأمل حياته حتى لايموت .. أم أنه السحر الآخر الكفيل بإطفاء نار اليأس التى لم يفلح العلم حتى الآن فى الوصول إلى مادة قادرة على تحويل نارها إلى رماد!!

١٣- كؤوس الهوى

لا أستطيع الزعم بأنى خبير بكؤوس هواك .. فهى عديدة ومتشابهة فى نفس الوقت .. منبعها واحد وهو ذاتك الراقية ، وأثر ذاتك فيها بعيد .. ولهذا يصعب أن نميز منها كأسا عن كأس .. أو كأساً على كأس .. قد



لاأعـرفها من بعضـهـا .. ولكنى أيضـا لا استطيع أن أحب واحدا منهـا بأكثر من حبى لكاس أخر .. ومع هذا فأنت التى تمنحينى دائما فرصة أن استمتع بكأس من وراء كأس مع أنى لن أمل البقاء على كأس واحد .. تسقيننى الأمـانـى من كأس الـرضـا .. وتسقيننى الحنـان من كأس الصفا.. ومن كأس الغد المشرق تسقيننى الأيام الخوالى.

١٤- عقد الحبّ

تتبقى لى من شفتيك آثـار عـديـدة .. تتبقى فى روحى أثـر صفـاء ابتسامتها .. وفى قلبى أثر شقاء غيـابها . وفى أذنى رَنّةْ جميلة تعود من أن لأخر .. وفى شفـتـىّ علامات القـرب .. وعلى شفـتىّ لون لا تسمـح له الدنيـا بالبقاء .. ولكنه يـذهب إلى دمى ليصبغ دنياه بما يرمـز إليه من تفاؤل لا حدود له .

إنى اتخيل عقد حبنا وقد وقعت نسختاه .. كل نسـخة لا تحمل توقيع صـاحبهـا وإنما تحمل قبلـة من شفتى الأخـر .. هل يمكن يـافتـاتى لشفاهنا أن تتحول إلى وحدة واحدة تحمل التوقيعات المزدوجة .

١٥- في عينيكِ

اتأمل فى عينيك موجات متعاقبة من الحب والاشفاق على المستقبل .. بيد أن هذه الموجـات فى تعاقبها لا تتلاطم أبدا .. تتسـابق موجات الحب مع موجات الاشفاق على الظهور فى إنسان عينيك ولكن شفافية موجة الحب تسمح لى أن أرى من بعدها ومن ورائها موجة الاشفاق . ثم تأتى

موجة الإشفاق فتنم من نفسها عن موجة الحب. هكذا تتعاقب أمواجك فلا تدرك بعضها، ولا تسبق بعضها .. وهى مع هذا لا تتلاطم أبدا كأنما تهيأ لها من خلقك الكريم قدر كفيل بتهذيب طباعها مع أن طبع الأمواج أن تتلاطم.

١٦- ثغرك

اتطلع إلى ثغرك يافتاتى فأجد فيه خلاصة معانٍ كثيرة . خلاصة معنى التعبير حين يفتر عن ابتسامته الجميلة . وخلاصة معنى التمنى حين يعكس كالمرأة الصافية رغبة نفسى فى التلاقى .. وهو بعد ذلك صاحب أروع خطاب شكر ، حين يشكرنى وهو فى الواقع يشكر نفسه بالنيابة عنى .. أما الكلمات الجميلة التى تخرج عَبْر هذا الثغر فهى أيات من حكمة خالقه الذى صوره على هذه الروعة .. حتى ليستحيل على الصوفى القديم أن يفهم تعبيراته على أنها شىء غير الذكر .. مع أن هذا الثغر لا يصوم أبدا.

١٧- نضارتك

ما أنت يافتاتى إلا مشمشة ربيعية ليس لها شتاء، وليس للشتاء أثر عليها، لا فى ملمسها ولا فى جوهرها ، إنما أنت ربيع دائم ، يتعاقب على كونى ، ولا يتعاقب عليه هو شىء، فإذا أنا أرى الربيع بعضاً من الزمان بينما الربيع عندك هو كل الزمان ، اترقب الربيع حين أكون فى أشد الحاجة إلى أزهاره وازدهاره بعد جفاف الشتاء ، وأتحسر على الربيع حين يذهب عنى ويتركنى لشرود الصيف ثم تقلبات الخريف

كنت أبحث يافتـاتى عن إنسانة تصل إلى ما يصل إليـه أعظم الناس من دون أن تفقـد نفسهـا .. من دون أن تفقـد نضـارة قلب العـذراء الصغيرة ، ولا نضارة ضحكة البلبلة الصغيرة التى تصدح من الأعماق، ولا نضـارة وجـه الملاك حين كـان الإنسـان أعظم مـن مـلاك قبل أن تستهويه الحياة الأدنى .. ولن أبحث بعد اليوم عن هذه الزهرة الجميلة.. لا لأنى وجدتك فحسب ، ولكن لأنك لن تتكررى !!!

١٨-قلبى يستنشق العطر

كان قلبى يحس بالذبول التـام .. ومع هذا فقد استطاع أن يستنشق العطر فى إشراقك عليه .. فهل يـاترى تستطيعين أن تفسرى لى كيف كان فى وسعك أن تحولى الذبول إلى عطـر؟ وكيف جعلت الشمس تشرق مرة ثانية على أرض قطبية بعيدة تماماً عن مدار الشمس؟؟

أحدثك عن صاحب قلب كان يظن أن قلبه يتسع لكثير من البشر فإذا أنت تشغلين قلبـه تمامـاً .. ومع هذا يـؤدى هـذا القلب مـا كان يـؤدى بأحسن ممـا كان.. هل أنت يـاسيدتى هـذا السائل اللطيف الـذى كان العلماء القدامى يصفونه بأنه يملأ المكان ، ولا يشغل المكان؟

قبل أن ينمو حبنا كانت أمنيات قلبى أشبه بالرماد المتبقى بعد حريق لم أشهده، ومع ذلك كنت أرى تحت هذا الـرماد وميض نار فأحس بأن أمانىّ قد تكون ذات معنى .. ولكن فترات طويلة من الزمن كانت تمضى وهذا الـرماد لا يومض ..ففى الليـالى كانت السحب تحجب نجمك .. وفى النهار كانت الغيـوم تحجب شمسك.. ومع هذا كنت تلوحين فى الأفق ..

حتى إذا أتى الربيع لم يكن فى وسع الضبـاب ... ولا السحاب أن يحولّ بيننا...

فى غيابك كـان قلبى قد بدأ يستـوحش الظُلمة الشديـدة .. لكنه قبل نورك كاد أن يتعطل .. فإذا بـه اليوم عندما اتصلت أسبـابه بك، عاد إلى نشاطـه فى طفولته، يستيقظ مع زقـزقة العصافير فى الصبـاح المبكر .. ولاينام إلا مع صياح الـديوك وهى تعلن عن انتشائهـا بنجاحها فى أداء واجب رعيتها عليها .

مالى أرى قلبى وقد بدأ يخون عهده لصاحبه أن يتقى قسوة الحب.. هل ضاق بالصبر.. ما علىّ يـاقلبى فأنت الذى تنتشى اليوم وأنت الذى قد يعـانى غدا !!.. نعـم ... ولكنى لا بد أن أعترف بما تعترف بـه عيناى وأذناى وأناملى وشفاهى من أنها مدينة لك بكل ما هى فيه من نعيم .

ولكن هل تستطيع عينـاى أو أذنـاى أو أنـاملى أو شفـاهى أن تـرد الجميل إليك فى الغـد حين تتعـذب وحـدك؟ إنى أنصحك وأنت قلبى ألا تعتمد على هـذه الحواس فى رد الجميل .. بل ربما أتنبأ لك أنها ستعانى هى الأخرى بأكثر مما تعانى .. وسـوف تلقى عليك يومها بعبء عذابها حين تكون أنت فى عذاب ما بعده عـذاب .. وربما ستقول يومها .. ليتنى أطعت صـاحبى .. ولم اطع احســاســاتـه .. مـا علىّ من شأنك ولأطعك اليوم... والآن !!

١٩ـ صوتك

حين أحـادثك يأتينى صـوتك بسعـادة غـامرة كـالموج حين يغمـر الإنسـان فى البحـر .. ثم تمضين عنى فلا أجـد له أثـرا فى يدىّ ، فإذا بى أتناول العدم .. ولكنى أحس فى نفسى أنى قـد تطهرت من أدران الحياة

كلها ، وأن حديثك ألقى بهذه الأدران بعيـدا بعيدا .. وألقى علىّ بدلاً منها بالكثير من لالىء المحبـة من كنوزك التى لا تنتهى .. كنوز حـديثك الذى لايعرفه أحد سوانا .

يريد السمع أن يؤكد قدرته على رؤيتك ، وقد تجسدتِ له من صوتك الرقيق الحالم الواثق الحنون نموذجا رائعاً لخلق الله حين تتوالى الآيات الربانية فى كل جزء منك، وحين تنعدم تماما تلك الغلطات التى نتميز بها كبشر، فتبقين فى النهايـة صورة ملائكيـة تعيش بين الشياطين من دون أن يكون لك نصيب من غواية البشر ، أو إغواء الشياطين.

أما حركاتك التى تسمعها أذنـاى فهى موسيقى رائعة منسجمة مع بعضهـا تفردتِ بها ... بـوضع ألحانها وتوزيعهـا وعزفهـا .. وليس فى مقدور أحـد أن يعزفها ولا أن يقلـدها ، ولا أن يعيد تـوزيع لحنها .. إلا أنت

٢٠ـ الصّــراع

يريد عقلى أن يمتدح جمالك فتأبى عليه الحواس أن يسلبها دورها فى الاحسـاس بهذه النعمة الكبرى التى اسمهـا الجمال .. بل التى اسمهـا جمالك أنت .. فلـربما كان جمالك هـو الجمال المطلق ، وإليـه ينسب كل جمال بعد ذلك أو قبل ذلك !!

وتبقى الحواس جميعها فى صراع مع العقل ، تريد كل واحدة منها أن تـدفع العقل إلى أن يعترف أنه كـان لها دون غيرها الفضل فى تـوصيل الاحســاس بهذه النعمـة التـى هى "جمالك" .. والعقل متحــرج من



الحواس ومتحرج من نفسه لانه هو الأخر يريد أن ينازع الحواس فى الاستئثار بالسبق إلى تحقيق الرقم القياسى للقدرة على الإحساس بهذا الإدراك لهذا الجمال .

أتأمل الحياة معك وفى غيابك فلا أجد الدنيا إلا صحراء موحشة قاحلة ، تتبدين لى فيها ، فلا يكون لى من الدنيا إلا ما خلفك من ظلالك حين تجنبينى قسوة الحياة ، وتوارينني من حرارة الشمس ، عندئذ اتمتع ياسيدتى بمملكتى... تلك الأمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس إلا بظلك الجميل .

٢١- لا أسأم

أحبك يافتاتى ولا أسأم من ترديد ذلك القول الجميل فهى كلمة تتكرر فتزداد جمالاً ، لا يصيبنى الملل من تردادها ولا يصيبها الملل من ترددى .. وإنما تزداد جمالاً ونضارة مع كل تكرار ومع كل ترديد .

طال بنا حلمنا الجميل .. نعيشه معاً ونستعيده معاً ، ونحاول من حين إلى حين أن نستبقيه .. ونكاد نقترب من الاعتقاد أنه إذا طال الحلم تحول إلى واقع.. وسواء طال الحلم أو تحول إلى واقع فنحن فى قمة السعادة .. ندعو ربنا أن يطيل ليالينا وأن يطيل أيامنا كذلك . بيد أننا نعود ونتأمل حلمنا الجميل ونسائل أنفسنا : هل يطول حلم جميل؟ ومع ذلك فنحن نرى باليقين حلمنا الجميل وهو يطول .. ونحن نتمناه هكذا إلى أبد الأبدين .. اللهم بارك لنا فى حلمنا كما تبارك فى أعمار الصالحين وأرزاق القانتين.

٢٢- الإيقاع

كنت أظنني قد قاربت أن أبلغ القدرة على إجادة التعبير عن عشقى لك فإذا بى أكتشف أنى لا أزال أندفع إلى هـذا التعبير بأكثر من المقدرة على ضبط إيقاعه .

أتـرانى لا أزال فى حـاجة إلى أن أتقـوى على حبك بحبك .. أم تـرانى لاأزال فى حاجة إلى قدر آخـر من حبك الهادىء الهادى الذى يأخذ بيدىّ فى يديك الحانية ليجعل منهما عازفاً ومعزوفاً ... أم ترانى لا أزال أضعف من أن أصل بهذا الحب إلى بـر الأمـان خبرينى .. ولا تبخلى علىّ حتى بهواجسك الخفية !!

٢٣- الاختيار

لك يـافتاتى أن تختـارى بين ما تـريدين وبين مـا تتمنين . ولك أن تؤجلى قرار اختيارك حسبما تشاءين . . ولك أن تجعلى الأمانى فى قلب الـواقع .. وأن تطيرى بـالارادة إلى سماء الخيـال ... لك يـاحبيبتى أن ترفضى وأن تأمرى وأن تطلبى .. وأن تتمنعى .. وأن تقبلى .. وأن تحبى وألا تحبى ..... شىء واحد فقط ليس بيـدك أن تتحكمى فيه .. أن تُحبى فهـذا هو قـدرك الـذى لا فكـاك لك منه! ...تحكمى مـاشـاء لك قلبك ، وتحركى ما شـاء لك عقلك ...ولكنك ستبقين رغم كل شىء فلكـا سياراً يدور حول نفسه بينما النجوم تدور من حوله. .

٢٤- الاستسلام

حين أسلمت إلىّ وجنتيك كنت أحس بالطفلة الـرقيقة الساحرة وهى تستسلم فى سعـادة الرضـا وكنت أسمع لقلبك زغردة العصـافير التى لازالت تتـدرب على الخفقـان . . وحين غـالبـت شعتيك كنت أراك على حقيقتك الأزلية صغيرة يانعة استجمعت كل حلاوة الحاضر والمستقبل وأودعته حنان قبلتها العميقة المتمنعة .

٢٥- العناق

حين تعانقنا أحسست بكل ما يخفيه صدرك من اضطراب الشوق ، وبكل ما تعنيـه ضربات القلب المتسـارعة المتلهفـة إلى الحب، ولم يرعنى هذا الانتظام الشديد الذى كـانت تدق به الضربات ولا أصابنى بالملل . بل كنت أجـد فيه عنصراً من عنـاصر الاطمئنان إليك ، وقدراً هـائلا من الحنان يسبق فى سرعته ثوانى الزمن .

رسائل التلاقي

١ـ العطر الذى لاتحتويه قارورة

حبنا يافتاتى هو الأفق الذى لا يدركه البصر مهما احتد ومهما اشتد. حبنا هـو العطر الذى لا تحتويـة قارورة .. ومع هذا تحمله الـرياح عَبْر الكون كله لا كما تحمل مـوجات الراديو تتـاح للناس جميعا متى أرادوا ولكن كحبنا الذى لا يتاح لأحد غيرنا أن يتلقاه !

حبك يافتـاتى هو تلك المرأة التى لم يعرفها النـاس بعد .. المرأة التى تظهر لـلإنسان صورة لا تستطيع مـرآة أخرى أن تظهرهـا .. فإذا كنا بعيـدين عن بعضنـا أحسسنـا به وكأنـه العين الضـوئيـة التى تلتقط لصـاحبها صـورة تعجز كل الكـاميرات عن التقاطهـا مهما أوتيت من قدرات على التكبير والتقريب والتصوير السريع .

حبك يافتاتى هـو ذلك الهرم الذى ينظر إليه الناظرون فـلا يبلغونه بأبصـارهم .. تبقى قمتـه أعلى من طموحـاتهم ، وأعمق من نظـراتهم، وأروع من خيالهم ، وهو مع هذا سر طموحنا وخيالنا ونظراتنا .

حبنا يافتاتى يخشاه كل النـاس ويحبه كل الناس ، لا يستطيع أحد أن يعبره لأنه لا يتخيل لنفسـه عمراً يبقى بعـد أن يقطعه ، ولا يستطيع أحد أن يتجاوزه من دون أن يتأمله وأن يمعن فى التـأمل فإذا هو عاجز عن أن يصل إلى قـراره ، وعاجـز كذلك عن أن يمتـد ببصره مع الموج إلى حيث لا ينتهى الموج .

حبك يـافتاتـى هو النهـر الـذى يفيض فلا تقـف دونه سـدود فإذا احتجب فإنه لا ينهمر إلا بدعوات الصالحين .

٢- الحديث عن الحبّ

تطـالبنى نفسى الحريصة بـالسكـوت عن الحديث عن الحب وهى لاتدرى أن سكوتى عن حديث الحب إفشاء لهذا السر.

كيف يستطيع قلبى أن يختزن كل هذه الطاقة ثم يبقى بعد هذا قادراً على أن ينبض .. كيف تستطيع نفسى أن تحتفظ بكل الثروة من دون أن توزع منها شيئا تبتغى به حماية الثروة الكبرى .. هكذا حديثنا يافتاتى نزكى به عن حبنا ليستمتع الآخرون بما فى هذا الوصال .. فيغبطوننا .. ونعود نحن لنغبط نفسينا اللتين يغبطهما الناس .

ثم إنك أنت الأخـرى بعـد نفسى تسألينى لماذا أنـا دائم الحديث عن حبنا؟ ألم أقل لك أن فى سكوتى عـن هذا الحديث إفشاء لسر الحب؟ هل من حقى بعـد ذلك أن أسألك هل أفلحنـا فى الاحتفـاظ بهذا السر وبما تشعينه وتشيعينه .. رغم كل ما يلحظة الناس من تبدل انسانى وازدهار مقالى.

هل حبنا يافتاتى سر مطلق ؟ أم خبر مذاع ؟ أم ملك مشاع أم هو هذه الحقيقة الكبرى التـى يدرك كل الناس كثيراً مـن جوانبها ويبقـى كنهها سراً حتى على أصحـابـه .. هل نحن بعـد هـذا مستطيعـون أن نحتفظ للحقيقة بسرها ؟ أم أن الأدعى إلى ذلك أن فى سرها سر حياتنا المتجددة!!

كثرت الأسرار يـافتاتى ... والسر واحد .. فسرنا حق .. وكل مـا عداه باطل .

٣- الحــوار

لا أزال يافتاتى مُفرطـا فى إعجابى بهذه السعادة التى تعترينى حين اتلقى حديثك سـؤالا بعد سؤال .. ومـع هذا فاننـا أحيانا مـا نشبهها بأسئلة القضـاة.. وربما كانت كذلك .. ولكننا مع هذا أكثر الناس سعادة بها حتى وإن لم نصرح ، أو حتى إن صرحنـا بغير ذلك .. وربما تقنعين نفسك بذلك حتى وإن لم تكن فى حاجة إلى اقناع .

إننـا نتلقى السـؤال الـواحد ونقـرأ فيـه معـان كثيرة .. نتلقـاه من البوليسى مهما علا قـدره فلا نفهم منه إلا أنه يورطنـا . أما حين نتلقاه من المحب فلا نفهم منه إلا أنه يريد أن ينقذنا من التوريط .

ونتلقى السؤال من المحقق فلا نفهم منه إلا أنـه يريد أن ينير لنفسه الطريق إلى حصارنا .. أما حين نتلقاه من المحب فإننا نعرف أنه يريد أن ينير لنا الطريق إلى انطلاقنا.

ونتلقى السؤال من القـاضى فلا نفهم منه إلا أنه يـريد أن يتثبت لما فى ضميره .. أما حين نتلقاه من المحب فأننا نعـرف أنه يريد أن يثبت لنا لما فى ضمائرنا وأن يحولها إلى مصدر أشعاع يهدينا إلى ما فى نفوسنا من القيم العليا.

ونتلقى السـؤال يافتـاتى من الطبيب ونحن نعـرف أنـه يجتهد مـا وسعه الاجتهاد فى أن ينجح فى علاجـه لأدوائنا .. أما حين نتلقى السؤال من المحب، فإننـا نجيبه ونحن نعـرف أنـه يريـد لنا أن ننجح فى اتقـاء أمراض المجتمع من حولنا حتى ولو كان هذا على حساب نجاحه !!



ونتلقى السـؤال من الصحفى ونحن نقدر أنـه يبحث فى جوابنـا عن مادة لـلإثارة .. وحين نتلقى نفـس السؤال من محبنـا ندرك تمامـاً أنه لايريد بما يكتنهه من أسرارنا إلا أن يطفىء نيران الاثارة التى قد تحرقنا قبل أن يمسنا شظـاها من بعيد .. وهـو يتمنى أن يحول الشظا المستتر وراء الرماد إلى شذا جميل كذلك الذى عودتيه عليه حين يبعث فمك عطراً جميلاً يـأسر قلبه ونفسه التى تحمـل هذا القلب الذى يحملـك، وسوف يظل يحملك أنت وقلبك الذى تتحملينه به حتى وإن تناءت عنه – أو انّت منه – عقول البشر وقلوبهم أجمعين !!

٤- عيد الميلاد

فى ذلك اليـوم اتيح لى يـافتـاتى أن انتقل إلى الجنـة .. هنـالك كـانت الحورية وقـد لفها الابيضاض من كل جـانب .. كانت الحوريـة مصدراً لكل ما يرمز إليه الابيضاض .. ورمزاً لكل مـا يصدر عنه الابيضاض .. عنـدئذ عرفت المصـدر نفسه بعـد أن عرفت الـرمز طيلـة عام كـامل .. وتركنى الزمن فإذا أنا أجد السعادة بالزمن .. كنت أحياناً أتعجل الزمن إلى لقاء الحبيب .. وكنت أحيانا استمهله قبل أن ينصرف الحبيب، ولكنى الآن سعيد بـالزمن سـواء تسارع أو تبـاطأ لأنى قد وجـدت الحبيب .. هاهى الحورية وقد انصرف عنها تعجلهـا إلى ما تتعجل إليه فى العادة .. تركت الـزمن هى الأخرى ولهذا فقد تركنـا الزمن كأنه يبادلنـا شعوراً بشعور .. وهذه هى اللحظات وقد أتـاح لها الفضـاء الواسع أن تأخذ ما تشاء من الأبعاد الواسعة .. تمضى اللحظات ونحن نتعمق الارتشـاف.. وتتسع اللحظات بقدر ما يتسع صدرانا لعناق حميم نود لو كان أبدياً .. ثم إذا نحن نستزيد ولا نقنع ... وإذا نحن نستغرب أننا لا نقنع...ولكننا

بعد قليل نستغرب أننا كنا نقنع من قبل .. بل ونستبعد أن نقنع من بعد .. ثم يعود إلينا عقلانا فإذا نحن نكتفى من الدنيا بما أصبناه منها .. ونتعجل فى دنيا أخرى ما نود لو أصبناه بالأمس قبل يومنا هذا!!

٥ـ السّباق

تسألينى يافتاتى عن عيوبك ، عن ذلك البهار الذى لا بد منه فى الوجبة الشهية ، وتستنكرين علىّ أنى لا اجتهد فى البحث عن هذا العيب... وقد فاتك يافتاتى أن أطباق الحلوى ينقصها البهار ولم يفكر أحد على الاطلاق أن يضمه إليها .. أنت يافتاتى هذا المخلوق الذى ليس للعيوب أن تضاف إليه أو أن تنسب إلى صاحبه .

تتسابق وجنتاك إلى شفتى ، وتود شفتاى لو استطاعت أن ترضيهما مرة واحدة ، ولكنهما لا تستطيعان ، فليس من طابع وجناتك العاطفة أن تتعاطف لبعضهما كما تفعل عيناك الساحرتان ... ولكن حسبى أنى إذا ارتشفت من رحيق اليسرى كنت قريباً من قلبك ، وإذا ارتشفت من رحيق اليمنى كنتِ أنت قريبة من قلبى .

٦ـ القرار

ها أنت تؤمنين معى يافتاتى أن الله اختص المرأة بقرار اختيار شريك حياتها .. وأن عدله الإلهى عوض الرجل عن ذلك بشرف المبادأة فى التقدم إلى حلم حياته. وحين يشرف الرجل بأداء هذا الدور ياسيدتى فإنه لا يختار .. ولكنه يؤدى دورا طلبته منه ملاكه.

أعلم أنك ستعترضين علىّ بما ترينه من هؤلاء الذين يتقدمون إلى دنياهم دون أن يروا شريكات حياتهم .. ولكن من أدراك ياسيدتى أنهم يتقدمون من دون هذه الابتسامة المشجعة أو الرضا المغلف ؟؟

ومن ينكر لك يـافتاتى أن هذا هو أقصى مـا عودتهم عليهم حياتهم حين تريد هذه الحياة أن تتحول إلى صيغة الاشتراك؟

تسـألينى ياسيدتى بعد هذا عن شعورى الكامن وراء القرار وهل بعد هذا الاعتراف قرار ؟؟

٧ـ الموعـــد

لم أكن أدرى يافتاتى أن حبك كفيل بتجـديد نفسينا فى كل لقاء ومع كل لقـاء ، وبعـد كـل لقـاء .. بل وقبل كل لقـاء كـذلـك .. كنت أتـرقبك فاستشعـر السعادة والرضا يبـددان كل قلق عليك وأنت تتأخرين عنى توزعين هذه البسمات الكفيلة بحماية حبنا . ثم كنت ألقاك فاستعيد من نفسى الجزء الذى ذهب عنها فى غيابك . ثم أبقى معك فأتمنى ألا ينقطع مابيننا مع أن روحينا متصلة فى كل حين .. ثم نقترب من لحظة الافتراق فلا أكاد أحس بالافتراق لأنى استشعر تحول اللقاء من الوجه إلى الفكر ، ومن الحضور الآنى إلى الوعى الباقـى ثم نفترق فلا نكاد نحس بذلك إلا كما يحس القلب حين ينبسط أنه يتجهز للانقباض ، أو حين ينقبض أنه يتجهز للانبسـاط .. ها أنت تظنين أن استعدادنا للقاء هو الانقباض . أما أنا فلا أكاد أعرف .. لأننا فى حالينا نعطى ونستعد للعطاء .

٨ـ الحـــرّية

أروع صور الحريـة يافتاتى هـى العطاء ، وأروع تعريفـات الحرية أنها القـدرة على العطاء ، دعيك ممـا ترسب فى نفـوسنا البشريـة من أن الحرية قد تعنى الفكاك من القيود ، أو التحرر من شىء قائم أو معترض

لنمط حياتنـا ، فمثل هذا المفهوم لا يخرج بـالحرية عن جَـوْهر ضيق ، بحيث يُصبح معناهـا مماثل تماماً لمعنى الحيـاة الذى تَرَينه عنـد أكثر الناس حين يقضـون كل حياتهم خوفـاً من الموت! هل تريدين ياسيدتى أن تُحولى حياتك إلى شىء شبيه بتلك الحياة التى كنـا ننتقدها معاً ، إذا كنت تريدين ذلك فما عليك إلا أن تتمسكى بالفهم التقليدى للحرية على أنها ذلك النوع من التحـرر .. أما حريـة العطاء التى أحـدثك عنها فهى حريـة القدرة والاقتـدار، ثم هى حريـة الاقتدار والاختيـار . هى التى تجعلنا حين نرغب فى الوصال نصل أنفسنا بما نعطيه منها قبل أن نصل الناس بما سوف يأخذون! هى التى تجعلنا نشكر أولئك الذين يمكنوننا من خدمتهم لأنهم أعطونا حـرية أن نفعل وأن نؤدى .. هى التى تجعلنا نسعد فى كل حين لأننا نستطيع أن نُسعد الآخرين هل تظنين أن هناك مصدراً للسعادة أعظم من إسعاد الآخرين .. لا أعتقد أنك تظنين .. ولكن أحب لك أن تحولى اعتقادك إلى إيمان طاغٍ يجعلك دائماً حريصة على ألا تبقى فى مقدورك شيئاً تقدمينه للآخرين إلا وقدمتيه . ويجعلك قبل هذا حريصـة على ألا تتركى فرصـة تجعلك قادرة على العطـاء إلا وحرصت عليهـا من أجل العطاء .. أنـا أعلم أنك توافقيننى على كل هـذا ولكنك مع هـذا تريـدين أن تحتفظى لنفسك بحق اختيار الموقع الـذى تعطين من خلاله !! لا يـافتاتى إن الذين يرغبون فى الحريـة الحقيقية ، وفى العطاء الحقيقى يتنـازلـون عن كل رغبة فى اختيـار مـواقعهم .. حسبهم أنهم يعطون .. وأنهم حيث يكون العطاء .. ولهذا فهـم لا يمانعون أن يكونوا فى أى مكان مادام هذا المكان يعطيهم قدرة أفضل على عطاء أكثر.

٩- الأثر الظاهر[١]

هل هـذه الحُمـرة التى على وجنتيك هى الأثـر الظـاهـر من مجامـر الياقوت ومنـاجم الزمرجد التى تحفل بها نفسك الكـريمة ؟ أم هى الأثر الباقـى من لقاء شفتىَّ بهذه الـوجنات فى أحلام الليـالى الخوالى ؟ أم هى رمز اللحظة حين يناديك قلبك لتستجيبى للقاء وتدعين للحياه هذا الرمز فحسب ؟

١٠- إثبات القوة

لا استطيع أن اعبرّ لك يافتاتى عن مدى سعادتى العميقة اليوم حين وجـدتك فى هذه الحالـة من التعطش إلى إثبـات قـوتك لنفسك ... ولكنى أستطيع أن اؤكـد لك أن هـذه السعـادة كـانـت مـزيجاً من حبك وحب نفسى.. وهو الحب الـذى تَوحد فى حبك منـذ زمن بعيد .. لا أستطيع أن أزعم لك ولا لنفسى أن سعـادتى بقـوتك تقل عن سعـادتى بـاقتنـاعك بضرورة هذه القوة .. ثم إنى سعيـد قبل ذلك أنك لا تمانعين فى ممارسة هذه القوة علىّ وعلى نفسك كأنما تريدين أن تقولى لنفسك مرة أخرى أنك تستطيعين الانتصار على كل الطفيليات والطفيليين لأنـك أكثر قدرة على الانتصـار على نفسك السمحـة فى غير ضعـف ، القـويـة فى غير عنف ، المعطائة بغير حدود ، والأخاذة لنفسها بلا قيود .

ها أنت ياسيـدتى تتحررين من الخوف الذى بـدأ فى طفولتك الغضة حياء جميلاً ، ثم إذا هو يتحول مع الزمن إلى سجان رهيب لا يغفل عنك ساعة من ليل أو نهار .. وها انت ياسيدتى تتحررين من الإيقاع الكئيب

الذى حاول أن يحيل فورانك المبدع إلى موجات عابثة . ها أنت ياسيدتى تتحررين من القيود العنكبوتية ، وتدركين كم هى واهية ! ولكنى ياسيدتى مع كل هذا أحب لك أن تصوغى من كل هذه التحررات التزاماً أعمق بكل ما فى قلبك من حب جارف ، وبكل ما فى وجدانك من إيمان عميق من دون أن تثقلى كاهليك أبداً إلا بكاهليك نفسيهما.

أحب لك ياسيدتى وأحب لنفسى معها أن تنطلقى إلى الآفاق الرحبية لكل ما فى فكرك من حب . . ولكل ما فى قلبك من فكر .. أحب لك أن تفعلى ما تحبين ، وأن تحبى ما تفعلين .. بل لعلى أتمادى فأقول ألا تفعلى إلا ما تحبين ، وألا تحبى إلا ما تتمنين من أفعال .

أحب للديناميت الذى تدمرين به الخوف ألا يمتد إلى العواطف الجميلة التى قد تتجاور مع الخوف.. وأحب لكلمة " لا " حين تقولينها أن تعنى الامتناع قبل أن تعنى التمنع ، وأن تعنى التمنع قبل أن تعنى الهروب !!. أحب لك أن تبذلى فى رفض الخوف ضعف ما كنت تبذلين فى التعبد له .. لا أحب لك أن تكررى لعن الخوف كما كنت تكررين الصلاة للخوف .. ولكنى أحب لك أن تتذكرى حين تصوغين حياتك أنك انتزعت منها شيئاً كان مسماه الخوف . ترحمى عليه من دون أن تلعنيه فلولاه ما أحسست ياسيدتى اليوم بنعمة القوة .. ولولاه ياسيدتى ما كان لك أن تصلى إلى ما أنت عليه بدءاً من يومنا هذا

وتذكرى يافتاتى أن يكون لتحررك من الخوف مظاهر حقيقية أكثر من تلك المواقف الانفعالية التى لا تعنين بها إلا الاعلان عن تحررك من الخوف ، حذار يافتاتى أن تكتفى بهذا الاعلان المتكرر عن التحرر لأنه

كفيل أن يضيع منك قيمة التحرر نفسها . وساعتئذ تجدين أنك لم تفعلى شيئا إلا أنك أخفيت الخوف فى طبقة أعمق من طبقات وجدانك ... أخفيتيه عن نفسك ، وربما عن الناس .. بينما هو فى نفسك مستكن .. وسرعان ما ينكشف للناس !!.

١١- العتاب

لا أستطيع أن أصور لك مدى سعادتى بعتابك المتكرر .. بل ربما لا أستطيع أن أصف شعورى حين أستعيد حوارنا أو لقاءنا فلا أجد فى ثناياه أثراً للعتاب.

عتابك يافتاتى نوع من أنواع رضاك السامى الذى يحيل حياتى شيئا آخر من البهجة بنظراتك التى تبتغى لى الكمال ، وتصوغ من كل مقوماتنا رموز الجمال .. لفتاتك ياسيدتى هى التى ترفع من قدرى عند نفسى حين استشعر أن هذه النفس تحظى باهتمام ملاكى الحانى علىّ.. ذلك الاهتمام الكفيل بأن يحيل ما يهواه إلى مالا بد لكل البشر أن يتمنوا هواه..

١٢- المفيد والمستفيد

أنت يافتاتى تُفرطين فى ثنائك علىّ حين تنسبين إلىّ كل هذا الفضل فى انطلاق لسانك بكل هذه المعانى والأفكار التى تظنينها كانت غائبة عن عقلك بينما كانت غائبة فى عقلك القادر على استيعابها واستيعاب أضعاف أضعافها فى يسر شديد .

وأنا لا أزعم لنفسى يافتاتى أنها حركت أفكاراً من عقلك الواعى وغير الواعى وجعلتها على لسانك كما تعتقدين . ولكنى أستطيع أن اعترف بأنك أنت التى حركت فى أضعاف ما تظنين أنى حركتُه فيك .. وأنك أنت التى حركت فى نفسك بعد ذلك ما تظنين أنى حَركُته فيها... أنت التى فعلتِ كل هذا .. وكنت أنا طريقك إلى هذا ، فأفدت منك ، بينما تظنين أننى المفيد ... لا ياسيدتى إننى المستفيد!!

١٣- ماذا نفتقد؟

أعذرينى يافتاتى فإنى فى صحبتك كأننى فى الجنة حقاً ، ولكن لاتنس أننى حين لا أكون فى معيتك أعانى ما يعانيه أهل الأرض من أهل الأرض.. هل تعرفين يافتاتى ما هى أصعب المشكلات التى يواجهها رواد الفضاء حين يتركون كوكبنا بما عليه .. إنهم يفتقدون الجاذبية الأرضية .. وهذه الجاذبية هى التى تجعل قلوبهم تقتصد فى الدم الذى تدفعه إلى عقولهم ـــ حينذاك يتجه الدم بفعل الجاذبية الأرضية إلى الأقدام التى على الطريق ، كما يتجه بفعل حماس القلب وإخلاصه إلى أعلى .. ها أنت تتصورين هؤلاء الرواد يتصعدون فى السماء ويتصعد الدم معهم إلى رؤوسهم .. وكأنك بهم يشكون لك هذا الحماس القلبى الذى يضغط على عقولهم .. هل تدركين يافتاتى كيف تحل القدرة الإلهية لهؤلاء الرواد مشكلتهم هذه ... إن كلواتهم يافتاتى تفرز من سر الحياة أقداراً أكبر خارج أجسامهم .. وهى عندئذ لا تضحى بسر الحياة ولكنها تحتفظ للحياة بسرها حتى وإن بدا أنها تضحى ببعضه . إنها لا تقلل الحماس ، ولا تصطنع الجاذبية التى افتقدتها ، ولا تدع عقلها يشكو . وإنما تعطى أكثر مما تعطى وهى على الأرض .. وتتنازل عن جزء من

سر حياتها لتجعله من معطياتها التى تتصرف فيها فى سهولة وبسعادة.. وحين أبدو وكأنى أفعل هذا يافتاتى فاننى استبقى نفسى بعيداً عن جاذبية الأرض فى الجنة التى ربما ظننت نفسى غير قادر على البقاء فيها.

١٤- الثقة

علمنى حبك يافتاتى أن الثقة تولد مع كل مشكلة طارئة حلها الكامن فيها الذى يصعب اكتشافه فى غياب الثقة الكاملة .. علمنى حُبك ياسيدتى أنه ينبغى لنا أن نتجنب الإفراط فى كل شىء إلا فى الثقة ، وإلا فى الحب .. قد يمكننا أن نتجنب الإفراط فى الحنان لأن حنانك محيط ليس بمقدور النفس البشرية الإحاطة بشطشانه .. وقد يمكننا أن نتجنب الإفراط فى الفكر لأنك تثيرين فى الفكر أقصى من حدوده .. وقد يمكننا أن نتجنب الإفراط فى التعبير لأن الجوهر الذى نعبر عنه لا يفلح معه التعبير مهما أفرط فى التعبير .. بيد أنه لن يمكننا أن نفرط فى الحب ولا فى الثقة ..

أعلم أنك تدركين أنه لا جدوى للثقة إذا فرطنا فى الحب . إذ ما جدوى الثقة بلا حب ، ولكنى أتمنى أن تدركى أيضاً أنه لا جدوى للحب من دون الثقة .. ولا جدوى لأعمق حب إذا لم تواكبه ثقة أفرط فيها صاحباها إلى أبعد حدود الإفراط .. وفرطوا مع هذا فى تحفظاتهما التقليدية إلى أبعد حدود التفريط !!

١٥- الأحلام

هل من حقى أن أفخر بكل ما فيك ؟ أم أن الأدعى يافتاتى أن أحمد الله على كل ما فيك ؟!



وهل يكون الحمد إلا بذكر النعمة !! أم أن شكر النعمة الأوفى يكون فى الحفاظ عليها بعيداً عن أعين الناظرين ، حتى وإن لم يتح لهم إلا سطوراً تصف كنوزاً من صنع الله أودعها نفسك الرقيقة الحالمة ، وأتاحها لى حين تنقليننى بحديثك - وأنا لازلت فى الدنيا — إلى جنة من جنات الرضوان .. ثم حين تنقلينى بلقائك إلى أروع لحظات حياتى حين يشك الانسان فى وجود الواقع لأنه يجد نفسه أمام مالا يتاح إلا فى الأحلام .. ارحمينى ياسيدتى ، وأكثرى من هذه الأحلام حتى لا أظل اعتقد حين ألقاك أننى لاأزال فى الأحلام!!

١٦- الشمس

بدأت أتيقن يافتاتى أن الله جل علاه يمنحنا بقدرته النافذة الفرصة للوصال كلما تعطشنا إلى هذا اللقاء .

وأظننا بكل ما أوتينا من عقل وتدبير لا نستطيع إلا الاعتراف .. إلا الاعتراف الشاكر لفضله الذى لم ينقطع .. منذ التقينا وكلما التقينا وكلما تمنينا لو التقينا .. هل يعنى هذا شيئاً بالنسبة إليك وأنت المتبتلة أحيانا.. الراضية كثيراً .. الساخطة قليلاً ...العابدة على الدوام !!

أما أنا فقد بدأت أرى فى تلاقينا طاقات من نور الشمس بعدما كنت منصرفاً فى الماضى بكل جوارحى إلى ما فى لقائنا من نور القمر .. ها أنا أخرج من لدنك بطُهر لا يتيحه إلا دفء الشمس الذى كنت غافلاً عنه حين كنت أظنك قمراً..

ها أنا يافتاتى اتملاك عن قرب وقد عرفت أن الله هو الذى جعلك هكذا بين يدىَّ .. على حين أننى أنا الذى بين يديك .. أنا الآن أعرف سر ذهبية جدائل شعرك . وسر نفاذية ابتسامتك المشرقة ..كوكبى الأرض

الذى أنـا منه ينادينى الآن بعد مـا اهتدى .. أننى أنا الـذى أدور حولك طوال العام .. بعـد ما كنت أظن أننى الذى أديرك حـولى طوال الأسابيع الأربعـة .. هل تكتمل الصـورة يـاسيـدتى فنظل فى مـدارنـا حتى أبـد الآبدين!!

و ها أنـا الآن فقط قد عـرفت كيف كانت اللغـة أذكى من أهلها حين خصت بالأنوثة الشمس ومنح أهلها الأنوثة للقمر

١٧ـ القــوّة

لماذا أنا شديد الحرص يافتاتى على إخفاء طقوس حبنا ؟ هل ترانى أظن أن بعض الحرارة التى فى حبنا قد تتبدد إذا أطّلع علينـا أحد ؟؟ حتى ولو تطلع من دون علمنا ؟ أم تـرانى اعتقـد أن شموع هـذا الحب تكون أكثـر وضاءة حين تكون بيننا .. فإذا صـارت بين الناس لم يكن فى وسع طبيعتهم البشرية إلا أن تفهم منها معنى الميلاد المتجدد فتمارس طبيعة البشر الحمقاء فى إطفاء شموع الميلاد.

أم ترانى يـافتاتى اختص نفسى من دون الـدنيا كلها بنبأ تـلاقينا كأنى أحاكى الـدنيا حين اختصتنى بأرق مخلوق وجد منـذ عهد قابيل وهـابيل ، وأنت تتعجبين يـافتـاتى لشفتىّ المطبقـة حين ألقـاك فى جمع الناس ثم تعجبين من قوة عناقها لشفتيك حين نتلاقى من فوق الناس . وأنا أزعم لنفسى يافتاتى ـ ولا بد أن امتحن هذا الزعم ـ أن بعض القوة التى فى عناقنا قد يستنفذها لغوهم ، وقد لا يستنفذها إلا سهوهم . وقد قيل يـافتاتى إن الصمت فى غير مـوضعه سهـو ، كما أن الحديث فى غير وقته لغـو .. فدعينـا يافتـاتى نترفع على السهو واللغو .. وليبـق لنا من بعضنا الصفو والصفو الجميل .

١٨- فتاتى الجميلة

تنظر فتاتى الجميلة الواثقة إلى جمالها كثروة ينبغى لها أن تفخر بها وأن تقدمها على حقيقتها بدون سلوفان لأنها تعتقد أن السلوفان سوف ينتقص من هذا الجمال الطاغى حين يحول بينه وبين الأعين التى تتطلع إليه ...

وتجاهد فتاتى الجميلة الواثقة نفسها فى أن تتغلب على نزعات الخوف على الثروة من أعين الحسود لأنها لا تؤمن بمثل هذه الترهات .. وكيف يحس بنعمة الصحة من لم يعان المرض ؟

ترنو فتاتى الجميلة إلى المرآة فتجدها عاجزة تماماً عن أن تصور لها عمق جمالها على ما نحو ما تحسه الجميلة فى أعين الناظرين الذين تدرك أعينهم البعد الثالث فى الجمال .. وفى أحيان كثيرة تدرك البعد الرابع أيضاً ... تدرك هذه العيون على الدوام عمق هذا الجمال الربانى المبهر ، وأحيانا كثيرة ما تدرك هذه العيون تاريخ هذا الجمال الربانى المبهر بطرفيه .. تاريخ نضجه فى الماضى حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم .. وتاريخ نضجه فى الآتى حين يزداد اشتعالاً واشتياقاً وتعبيراً . ولكن المرآة لا تدرك شيئاً من هذين البعدين مهما ارتوت من مرأى الجميلة واشتاقت إلى عناقها.

و فتاتى الجميلة الواثقة تدرك أن المرآة الحقيقية التى ينبغى لها أن تفتش فيها عن جمالها هى تلك الأعين المتطلعة الحريصة على أن تتأمل لتكون تفاصيل الصورة .. هى تلك الأعين الجريئة الحفية بأن تطيل التأمل لتنال أكبر قدر من دقة التفاصيل و هى تلك الأعين التى ألهبها



الانطبــاع فبعــث من أشعتهــا الهادئة أشعـــة نفــاذة تحاول أن تخترق تفاصيل الجميلة إلى أعماقها فلا تستطيع . إلا أن تأذن فتاتى الجميلة الواثقة .. فهل ياترى تأذن.

١٩- إظهار الجمال

قبل أن ألقاك يا فتاتى كان عهدى بآلهة الجمال يبرزن الجمال بستر الجمال ، وحين أتيح لى أن ألقاك ألفيتك تبرزين الجمال بإظهار الجمال.

أهو الصدق الذى يأبى الجدال؟

أهو الحب الذى يعشق السؤال؟

أهو الجمال الذى يأبى إلا الجمال...

يــالدفء أوصـــالك حين تنثنى ، فينتشى معهــا فــؤادى ، ويالـــدفء أعطافك حين تستــدير فترتوى نفسى الظامئة إلى ضمهــا بكل ما تحوى من لهفة الظمآن ويالرحمة عطفيك حين يتجليان ليتقبلا رحيق الولاء

يالشفتيك تكتنزان الهوى وتجودان بــالجوى.. يالخلجاتك تترى ثم تتروى .. تتــوالى ولا تتوارى .. وتــروم الحب فيترامى إليها وقــد صرع المحال وزرع الــوصــال .. هنــالك ضمنى صدرك .. أقشعــر حين ضمنى فذبت فيه .. فصرت إليه .. وعدت منه .. جزءاً من كلٍ لا يتجزأ بعد الآن.

رسائل الافتقاد

١- الذكرى

منذ افتقدتك يافتاتى لم تستطع نفسى الأمارة بالسوء أن تتغلب علىّ وتقنعنى بأن تجد سبيلاً إلى لقائك. فلقد اقنعت نفسى الأخرى يافتاتى أنك ذهبت شهيدة تصرف من تصرفاتى ، وأنه بالتالى لا سبيل إلى لقاءك إلا إذا اتيح لى أن أعمل من الأعمال ما يؤهلنى لأن تكون لى فى عالم أخر فرصة للقاء الشهداء!! قد لا أقصد بالعالم الآخر ذلك اليوم الذى أؤمن به كما تؤمنين .. ولكنى أقصد عالما أخر فى هذه الدنيا التى تتعدد فيها العوالم بقدر ما تتعدد فيها العواطف والأهواء والنزعات على نحو ما رأيت

٢- الحبّ الخاطف

كنتِ يافتاتى نموذجاً للحب الخاطف الذى يُبدى أكثر ما فيه دفعة واحدة ، بل ربما أكثر مما فيه ثم لا يلبث أن يفتر فى سرعة شديدة كانه أصابه ما يصيب الأحياء حين يحين أجلهم فلا يتأخرون ساعة ولايتقدمون ، بل ولا يكون بالامكان التفكير فى العودة بهم إلى الحياة الدنيا التى كانوا يعيشونها بكل ما فيها . ثم إذا هم يغيبون عنها فجأة وبلا مقدمات .

يتبادر إلى ذهنى الفينـة بعد الأخرى سؤال قـاس تحدثنى به نفسى فتقول · هل من العدل أن تدفع كل هذا العذاب ثمنا لساعات معدودة من هنـاءة لقائى بك ؟ هل يـاترى تكـون هذه اللحظـات التى لم تكن إلا مقدمة رأى فيهـا صاحبها فاتحة الخير مكلفـةً إلى هذا الحد الذى يحس فيه صاحبها أن عليه أن يدفع لها ثمنا من هذا العذاب الشديد الذى يجد نفسه فيه بعد ما افتقدك فجأة حين كان لا يزال يُهىء نفسه للقاء بك؟؟

٣ـ اليأس

هل أصـابنـى اليأس من الأمل فى التـوبـة عـن حبك؟؟ هل أصبحت مقتنع تماماً بأنه لا جدوى للتوبة ولا أمل فيها . ما أحمق الذين قالوا إن المرء لا يتوب عن الهوى إلا على يـد مَنْ يهواه .. هل فاتهم أن يـروا حبنا ليعرفـوا أن هذا الهراء الذى يقولـون ليس من حبنا شىء؟ أم أن السماء اختصت شخصى الضعيف باكتشاف هذه الحكمة الجوفاء ؟

حبك يلازمنى أينما حللت .. هل سمعت أن سر بساطـة الاسلام أنه الدين الذى يُمكن أصحابه من التعبد لدينهم أنى كانوا . لا أنى كان، لأن ربهم الواحد الأحد كائن فى كل مكـان وأن .. هكذا حبنا أينما كان أىٌ منا فهو قادر على أن يمارس حبه للآخر .. فإن لم يكن فبالقلب وهو أضعف الإيمان!!

٤ـ الدّفء

أذكر يـافتاتى أن زميلـة سُئلت عن علاقتهـا باخـوتها غير الأشقاء الذين لم يعيشـوا معها تحت سقف واحد ، فقالت إنها عـلاقة ممتازة .

وبعد دقائق سنحت لها بادرة فاستدركت وقالت : ولكنها ليست علاقات أخوية فقد كانت تتمنى أن يكون فى هذه العلاقة الممتازة بعض الشوائب من الجذب، والمناقشات الحامية ، وارتفاع الصوت، والصلح بعد الخصام ، والوصال بعد جفاء، والاختلاف على متاع الحياة الدنيا ، والاختلاف من أجل متاع الآخرة . ولكنها كانت تحس أنها تفتقد كل هذا فى تلك العلاقة الممتازة التى كانت تربطها بأخوتها .. كانت علاقة ممتازة كما قالت ، ولكنها كانت تفتقر إلى الدفء، تفتقر إلى هذه النار .. النار التى قد نظن حين تندلع الحرائق أنها مصدر الشر بينما هى نقطة من نقاط التحول البارزة فى تاريخ حضارة الإنسان

على هذا النحو يافتاتى استطاع محبك منذ زمن ليس بالبعيد أن يطور فى علاقته بمن يميل إليهم من محدثيه ، فتحول مع هؤلاء دون غيرهم تلقائيا عن الأسلوب البروتوكولى فى الوقفات والصمتات إلى موقف آخر ينفعل بما يقول وحتى بما ينتقد، بحيث أصبح حديثه مع من يحب و مع من يُحبونه صورة حية للموسيقى الداخلية التى تعزفها المشاعر والانطباعات والأحاسيس التى تولدها الكلمات التى ينطق بها اللسان أو تلك التى ينطق بها القلب .. وأعتقد يافتاتى أن مقدار الثقة التى قد اتمتع بها فى رأيك ، قد وصلت إلى الدرجة التى تجعلنى أوقن أنك تصدقينى فى اعتقادى بأنى سعيد بقدرتى على التعبيرية الصادقة التى استطعت أن أصل إليها بعد تدريب شديد ، أكثر من سعادتى بقدرتى السابقة على الانضباط البروتوكولى التى تضطرنى الظروف فى كثير من الأحيان إلى استعادتها على مضض لا يخفف من وطأته إلا سعادتى بالقدرة ، حتى وإن لم أكن سعيداً بالأسلوب .

ثم إنى أحب أن أحدثك يافتاتى عن ذلك الموقف الذى وجدنا أنفسنا فيه وسوف نجد أنفسنا فيه مراتٍ ومراتٍ حين صادفنا مدخلين لبيت واحد، واختلط علينا بحكم انعدام الخبرة التفريق بين الباب والشباك، فقد كانا شبيهين إلى درجة كبيرة، ولم يكن يميز بينهما غير لوحتين وضعت واحدة منهما على كل منهما، ولم يكن لى ولا لك معرفة باللغة التى كتبت بها اللوحتان . بيد أننا بعد استلهام لقلوب صافية ، وبعد توفيق وهبه الله لنا ، وصلنا إلى نفس النتيجة كأننا كنا نتكلم لغة واحدة. بل لأننا كنا نتكلم لغة واحدة. كان هذا الموقف حين كنا لا نزال حيارى ما بين الباب والشباك.. أما وقد عرفنا كلا منهما فاننى أعدك ، (ولا أطلب فى المقابل وعدا مماثلا) بأن أظل دائما حريصا على الدخول من المدخل الصحيح حتى ولو طال وقوفى أمامه. وحتى (وهذا هو جوهر وعدى) لو كان المدخل الآخر مفتوحاً على الدوام ، سهل الولوج، غير مكلف على الاطلاق .

.. تسألينني لماذا كل هذه التضحية وأنا أسألك بدورك وما هى قيمة الحياة إذا لم يكن فيها من يُضحى من أجلها بالطرائق السهلة .. وبالمكاسب السهلة.. والحقائق السهلة . وبالحياة السهلة .. بل وبالتضحيات الصعبة .

٥- الخداع

هل تؤمنين حقاً بالحب؟ أم أنه لا يعدو وسيلة مُثلى لقضاء أوقات الفراغ؟ تنشغلين به عن التفكير فى المشكلات التى تخلقينها لمحبيك السابقين.

هل تعتقدين أنك قادرة على أن تُعطى من أجل الحب ؟ أم فى الحق أنك تعطين حتى تحصلى على الحب فإذا ما حصلت عليه بدأت على الفور فى المطالبة بأثمان مضاعفة لبضاعة غائبة ولكنك تقيمين لها مزادات تجيدين إقامتها و إشعالها و إعادة اشعالها كلما هدأت نارها.

هل تظنين الناس غافلين إلى الحد الذى يُمكنك معه خداعهم جميعاً طوال الوقت ، أم أنك تعتقدين أنهم يفضلون الانخداع لك لأنهم يؤمنون بأنهم خلقوا لشىء واحد هو أن ينخدعوا بك .

ودعينى أسألك بعد ذلك هل تؤثرين انحداع الناس بك أو تؤثرين على ذلك خداعهم لك بأنهم ينخدعون ؟ وهل تعتقدين أن فى وسع القريبين منك أن يتركوك على هذا الحال من دائرة الانبهار بالإنخداع إلى البحث عنه من دون أن يطلبوا إليك أن توقفى هذه العجلة التى تدور.

دعينى إذن أعترف لك أن فى وسع بعض القريبين منك أن يظلوا على هذا الحال لأنهم حين حاولوا أن ينبهوك فشلوا ، وانقلبت عليهم فى ثورة عارمة لا تزال أصدائها تؤلم مشاعر الصدق والأخلاص فى نفوسهم .

٦- الانخداع

دعينى اعتذر إليك عن انخداعى فيك ، ودعينى اتوسل إلى هذا الاعتذار بصدق انخداعى فقد كنت بالفعل ميالاً إلى الخروج بصفاتك الحادة من مدار الشر إلى مدار الخير ، وكنت أظن أن أول الطريق إلى هذا الخروج هو الإيمان بالقدرة عليه ، أو الايمان باحتمال وجوده .. ولكنى للأسف كنت مخطئاً ، وبودى لو اثبتت الأيام أنى كنت على صواب ...

ولكن خبرينى بـربك ماذا يجدى المرء إذا علم يـوم القيامة أنـه لـم يسلم الروح إلا بعـد أن أدخلوه قبره بثلاثة أيـام ؟؟؟ أليس هذا هو هـو فوات الأوان ؟

وماذا كان فى وسع هذا الحى المدفـون أن يفعل فى غيبوبته تلك التى لم يدر من أمرها شيئاً ؟ وهو مع هذا يرى الذين دفنوه حياً يُعذبون بما اقترفـوه فى حقه فيشفق عليهم مـن دون أن تنتقص شفقته من ميـزان العدل حين يتسامح الله فى حقوق الألوهية ولا يتسامح فى حقوق العباد .

لو كـان الأمر بيدى لسـامحتك . ولكنى لا أظن ولو للحظـة واحدة أنك سوف تنجين من هذا العذاب!!

٧ـ الغيـرة

علمنى حبك يـافتـاتـى أن الغيرة ألا يخشى المحب لقـاء محبـوبـه بالآخرين .. لأنه إذا انتابه الشك فعلى حبنا السلام.

الغيرة يافتـاتى أن يكون محبك طوع بنان خيـالاتك يحققها لك قبل أن تبحث هذه الخيـالات عمن هو جـدير بشرف تحقيقهـا .. فإذا قادتك خيـالاتك إلى غيره فليبحث محبك عما تجدينـه بعيداً عنـه قبل أن يسأل نفسـه عن سر ابتعادك عنه ولو إلى حين!!

الغيرة يافتـاتى أن يُوطن مُحبك نفسه على أن تكتشفى فى عـلاقاتك بالآخرين مصدراً من مصـادر تـوثيق حبك وتعميق تقديرك لشخصـه ، وأن يسعى بنفســه إلى أن يشجعك بكل ما أوتـى من قدرة على تـوسيع علاقاتك بالآخرين وتوثيقهـا . وأن يكون متأكدا من أنه وهو يفعل هذا

يزيـد من قدرتـك على اكتشاف مـدى حبه لك ومـدى هذا الحب .. وعلى اكتشاف كيف يتضاءل الآخرون إذا ما قيسوا بكما معاً .. عندئذ يطفىء محبك بـالثقـــة كل شطـا حتى قبل أن يستفحل .. وعنـــدئذ تتحـولين ياسيدتى إلى نفسك فتجدينها ، وقد استشعرت من بعيد كل علاقة تبدو وكأنها كفيلة بأن تكون بذرة من بذور الشقاق فعزلتيها عما يرويها من دون تسرع ، فإذا بذور الشقاق وقد استحالـت ذكرى قد ماتت تماماً .. تبقى لها قيمتها من حيث كـانت أثراً ينبىء عما استطعت القضـاء عليه من قبل أن يكون جنيناً حياً

ومع هـذا يستحيل على غير الله جل عـلاه أن يبعث فى هذه البـذور الحيـاة .. وسواء أخفيت يـاسيـدتى البـذور أو استبقيتيها فـان مُحبك عارف بفضلك نعم أنـت تريدين اخفـاءها تمامـاً لأنك بما طبعت عليه لاتريـدين للجمال شيئاً يشـوه الجمال .. ولكنه وهـو الموافق لك على كل أفكارك الجميلة لا يمانع فى أن يستبقى شيئاً يـزداد به جَمال ما حوله .. كـــلاكما يسعى إلى الجمال . وكـــلاكما يستلهم الجمال .. ولن يتأثــر جمالكما مهما انتثرت فيـه بذور ميتـة .. لأن زهور الجمال تبقـى أقوى وأينع وأسطع .

٨- أحمق الجميلات

حتى عنـدمـا كنت تتحـــامقين فقـد كنت أحمق الجميـلات وأجمل الحمقـاوات . تـرمين كل شىء من وراء ظهـرانيك إلى أمـام نـاظـريك فتنقذين ما استنفـذتيه وتثـورين على كل ما سببتيـه ، وتحطمين كل ما رويتيه . ثم لا تلبثى أن تثوبى فإذا دمعتك الحانية تعيد الروح إلى كل ما



دمَّرتيـهِ ، ثم تتجمد دموعك بعـدما تسيل على خـديك وتتحول إلى شيء كـالشريط اللاصق يعيـد كل المشـاعر إلى مـا كـانت عليه قبل ثـورتك بـالشروخ الجميلـــة .. الشروخ التى تعبر لك عن قـدرتـك على الانتقـام لنفسك الأمـارة من نفســك المتســامحة .. والشروخ الأخـرى التى تعبر لنفسك المتســامحة عن قدرتها ، وعن سمـوها حين تصفح وهى قـادرة على أن تجرح .. لهذا كله أحبك .. ولكنى مع هذا كله أحب لك أن تجرحى وأن تصفحى من دون أن تفقدى شيئاً من حدة حد الموسى .. ومن دون أن يتجـاوز حده حـدوده .. أريـد لك أن تكونى كمشرط الجراح يعـرف طـريقـه قبل أن ينطلق .. ومهما أحـــاطت بـه الظلمات ، وأريـد لنصلك الرقيق الهش أن يبقى لامعاً وقويـاً رغم الزمان . أحب لك حين تتنازلين عن نصلك هذا أن تـرتفعى على الظواهـر وأن تتماسكى بالجواهـر لئلا يؤدى نصلك عملاً إلا فيما يستحقه من الماس .

٩- تلك اللحظة

استطيع أن اؤكد لك يـافتاتى أنه لم تجتحنى الـرغبة أن أدفع بعض عمرى مقـابل شيء مثلما اجتاحتنى حين فكـرت أن أضحى بجزء كبير منه للعثـور على مُصورٍ فى تلك اللحظـة التى رأيتك فيها ، وقـد تناسيت دنيانا بكل ما فيها من خوف ، وتحولت نفسك الملائكية إلى طبيعتها التى كانت لها فى العـالم الآخر الـذى جئتينا منــه، لحظتها كنت أتملى وجهك الجميل وقد اكتسى بنورانية إلهية زادته جمالاً وإشراقاً .. كنت لحظتها استعرض النورانيات التى عرفتها جميعـاً فأراها تتضاءل أمام نورانية وجهك حتى تكـاد تتلاشى .. ثم اتأمل نظـراتك فلا أجـد إلا الشفافيـة المطلقة التى لا يعـرفها إلا أولئك الـذين يُقال عنهم إنــه قد كُشف عنهم الحجاب .

١٠ـ الطريق

طال بى طريقنا اليوم حين كان علىّ أن أقطعه ولست معى.. فإذا أنا أتأمل نفسى إذا حُرمت صحبتك .. فلا أتخيل نفسى ساعتها أتمتع بشىء إلا الملل الثقيل ، ثم يدعونى قلقى على مستقبلنا أن أفكر فى الماضى حين كنت أمضى فى هذا الطريق مسرعاً وكأنه هو الذى يجرى بى .. إلى ماذا؟ ولماذا كنت أجرى . لست أدرى .. لماذا كنت أسابق عمرى كما تقولين ؟! .. لا أعتقد أنى كنت أفعل ذلك إلا شوقاً إليك حين كنت لاتزالين بالنسبة لى فى عالم الغيب ثم إن لحظات قلقى تتراجع وأنا استحضر صورة طريقنا معاً حين كنت تعزفين أروع مقاطع سيفونيات الحب بثلاثة أصابع فحسب من يدك اليمنى . بينما تقودينا وقد أصبحنا شيئاً واحداً بذلك الأصبع الرائد من يدك اليسرى الذى يسميه الصوفيون بالمسبحة .. ويسميه الناس بالسبابة وهو لنا ساعتئذ كل شىء .. بينما ظل أصبعاك الرابعان يأبيان أن يتعاقب عليها رمز لارتباطنا الذى اعتاد البشر أن ينتقلوا به من اليمنى إلى اليسرى بعد حين ولكننا نقنع أربعة من أصابعنا الرابعة أن تبقى محاطة على الدوام بكل ما فى قلوبنا من هالات حبك التى لا تستطيع أنفس المعادن أن تكون لها رمزاً ، وأن ترتفع عن رموز الناس أجمعين إلى ما كان فى سالف الأزمان من استغناء الحب عن كل الرموز .. ذلك أن حبنا ياسيدتى لايحتاج إلى رموز مهما كان معدنها .. حبنا لن يتغير سواء كان فى الوقت الذى يضع الناس رمزه فى اليد اليمنى . أو كان بعد الوقت الذى ينقلون رمزه إلى اليسرى .. حبنا لا يعرف الأوثان .. لا يعرف اليمين ولا اليسار.

حبنـا ليس له عيـار .. ليس له رمـز يضيق عليـه موضعـه إذا امتلأنـا أويعجز عن الاحتفاظ به إذا ما أصابنـا شيء من نحول . حبنا يافتاتى لا يحتمل صـورتين من شيء واحـد .. ولا يحتمل أبـداً أن يكـون من صورتين .. إنما هو صورة واحدة .. هو أنت .. وأنت فقط .

١١- بعد عامين من الافتراق

هل كان حبك نـوعاً من التعـود سرعان ما تـلاشت جاذبيته عندما افترقنـا ، وكنا نظن أنـه لن يفقد جـاذبيتـه أبداً حين كنـا نلتقى ونلتقى ولانكف عن اللقاء. فأصبحنا اليوم ندرك أننـا كنا نحب بعضنا لأننا كنا لا نكف عن التواصل وحين انقطع التواصل ذهب الحب أدراج الرياح !!

هل يقدر لتلك الـرياح أن تعود أو أن تعيد الحب ، ربما تعـود الرياح بالحب ولكنى أعتقد يافتاتى أن حبنا سوف يذهب مرة أخرى مع الرياح إذا هى عادت به.

ربما تحدثك نفسك الآن وهى مندهشة أن يصدر هذا الحكم القاسى على حبنـا من قلمى أو من قلبى .. ولكنـى واثق تمام الثقـة أنك لست منـدهشة للحكم نفسـه، فأنت خير من يعلم مـدى حظ هـذا الحكم من الصواب.

نعم يافتاتى إنى لأستعرض شريط حبنا فأجدك فى مراحل كثيرة منه تصدرين عن فهمك العميق لطبيعة هذا الحب، وتولده من الوصال الذى كنت تحبينه بأكثـر مما تحبين نفسك ، وكنت أظن هـذا الحب هو الحب السامى الـذى لا يموت فإذا بك تدفعينى لأن اكتشف أن حب الـوصال يعيش فقط ما عاش الوصال.

يتذكر المحبون الذين شاء لهم حظهم أن يفترقوا أيامهم الخوالى فيحرصون على أن يذكروا أنفسهم قبل أن يذكروا محبيهم أنهم لا يزالون يذكرون أنهم كانوا يحبون ... ثم هم يتمنون أن تعود بهم الأيام.

يتذكر المحبون الذين سعوا إلى الانفصال أيامهم الخوالى فتنتابهم مشاعر صادقة راضية أو ساخطة أو نادمة على ما مضى ... ثم هم يدعون ربهم ألا تعود تلك الأيام !!

أما أنت يافتاتى فإنك دائمة الحديث بلو ... تحدثين نفسك انه لو قدر لك أن تبدأى من جديد فلن تكونى أحسن نية مما كنت !! هل تعتقدين يا فتاتى أن الله يرزق عباده وهم يتمنون أن يكونوا سيئى الطوية !!!! ربما !! أما أنا فلا اعتقد!!

١٢- كان لى قلب

كان لى قلب يافتاتى، طوعتيه وخدعتيه .. واقنعتيه أن مكانه الأمثل أن يكون بين أناملك الرقيقة العطوفة، أخرجتيه من صدرى إلى ما بين أناملك، ولكنى فى المقابل أودعتك صدرى كله فبقى لى قلبى بين ضلوعى تغلفه أناملك الرقيقة المتشبثة به، وكانت ضلوعى تتسع لك وقد أحطت بقلبى وانكفأت عليه ... ثم تنامت ظنونك وأصبحت تخافين أن صدرى ربما لا يتسع لك فى مستقبل الأيام وبخاصة مع حراكك المستمر غير المحسوب. وعصفت بك أهواء الظنون مرة بعد أخرى ... فإذا انت تؤثرين الأهواء العاصفة على صدرى الحنون، وتمضين مع الأهواء وقد

تشبثت أناملك بقلبى . وقد أصبحا شيئــاً واحداً ..ولم يكن أمامنا من بد إلا أن نضحى بأناملك ، أو أضحى أنا بقلبى .. وأغمضنــا عيوننا ونحن نفترق .. فلما عاد إلينا نــور العين اكتشفنا أناملك وقد قيــدت تمامــاً عن الحركة بذلك القلب الــذى أحاطت به فقيد حركتهــا .. واكتشفنا صدرى ضلوعاً بلا قلب.

خبرينى بربك أينا أكثر شقاء ذلك الذى فقد قلبه ، أم تلك التى فقدت أناملها؟ وأيهما يستحق الرثاء ذلك الذى فقد القدرة على الخفقان أم تلك التى فقدت القدرة على العزف!!

١٣- امتحان

ظللت طيلــة اليــومين الماضيين عاجــزاً عن إدراك سر الضيق الــذى اعترانى عندمــا بدأت التفكير فى لقــائنا الــذى قُدر لــه أن يكون الأخير ، وأحب أن أعترف لك أننى لم استطع فى البداية أن أصل إلى أكثر من شىء واحــد هو الاعتراف التــام بتفوقك علىّ حين تنبهت بــذكائك إلى أن هــذا اللقاء كفيل أن يترك فى نفسى بعض الآثار. فإذا أنا أستهين تماماً بكل ما تتــوقعين ، ثم تنقضى ليلة قصيرة فإذا أنــا أعجب لنفسى كيف أنها لم تستطع أن تــدرك ما أدركتيــه أنت فى الماحية ؟؟ ثم إذا أنــا بعد ذلك وقــد انتابتنى هواجس لا أول لها ولا آخر ، وأنــا مع ذلك غير قادر على معرفة السبب الذى أتاح لهذه الهواجس أن تسيطر علىّ على هذا النحو.

بيــد أن لحظات صفــاء روحى مــرت بى منــذ قليل وأنــا أقرأ قــول الصوفى:

لا تـــدبـــر لـك أمـــرا فأولـــو التـــدبير هلكى

سلم الأمـــر تجدنـــا نحن أولـــى بـك منكـــا

فإذا أنا بعدها أعيد التأمل فى لقائنا الأخير فأجد الصورة أمامى أشبه بتلميذ تـوجه للجنة الامتحـان فإذا بالسـؤال الأول يطلب إليه أن يكتب اسمه وأن يتحدث عن نفسه . فإذا انتهى من إجابة السؤال وجد السؤال الثـانى يطلب إليه مـرة أخـرى أن يكتب اسمـه وأن يتحدث عن نفســه بأحسن ما فيها ! .. فإذا ما انتهى من تعميق ما أجاب به ، أخذته الدهشة من أن يكون السـؤال الثالث هو الآخـر يطلب منه أن يتحـدث عن نفسه بأحسن ما فيها على ألا يغفل ذكـر اسمه. . فلما ذهب التلميذ يسأل عن سر التكرار (بـل التطابق) فى الأسئلـة الثلاثة قيـل له إن هذا هـو شأن الامتحان أن يختبرك فلما طلب أن يدخل امتحـاناً أشد يتاح لأسـاتذته فيه أن يمتحنـوه ، أُجيب إلى طلبه ، وكان سعيـداً بهذه الفرصـة التى قد يتاح له فيها التوفيق .. ولكن سعـادته سرعان ما تحولت إلى ذهول حين وجد السؤال طويـلاً جداً ، وليس فيه سؤال . كان السـؤال فقرات كاملة متتاليـة عن أهمية الامتحان، وضرورة الامتحان، ومشروعيـة الامتحان، وفائدة الامتحـان، وخطورة الامتحـان بينما لم يكن هنـاك سؤال على الاطلاق.

ولم يسع الطالب إلا أن يستغـل الوقت المتاح أمـامه ليتحـدث حديث الطـالب إلى ورقـه الإجـابـة عن كل عنصر من العنـاصر الخمســة التى تناولتهـا الفقرات الموضوعة فى ورقـة الامتحان.. وكأنى به كـان يتحوط للسؤال الـذى قد يكون قـد سقط سهواً أثناء الطبع . وكأنـه يظن هذا

السؤال شبيهـا بالسطر الذى يكـون فى امتحانات الإنشـاء حين يوضع رأس للموضـوع ثم يقال للطـالب تحدث فيه ... وسـاعتئذ تظهـر قدرة الطـالب النجيب فى مدى احـاطتـه وتحليله لـرأس الموضوع وتحديـده للعناصر . أو كأنى بـالطالب وقـد تقدم فى السن فأخذ الكـلام الذى دار أمـامـه عن أهمية الامتحـان وضرورتـه وفـائدته وخطـورتـه واعتبره بروتوكول الرسالة التى عليه أن يتقدم بها.

لم يكن حالى يوم لقائنا جميعـا يا فتاتى يخرج عن أحد هذين المثلين و إن تراوح بينهما .. ولقد بحثت عن سؤال موضـوع الإنشاء أوموضـوع الرسالـة فلم أجد . ربما لأنى لا أزال طالباً ولا أعـرف مواضـع الأسئلة . فإذا كان هناك سؤال خفى علىّ طيلة هذا اللقاء فارجوك أن تدلينى عليه فلربما كـان فى إجابتـه سبب نجاحى فى هـذا الامتحان الـذى لم أعرف سؤاله بعد .. وإن كنت قد عرفت أهميته وضرورته ومشروعيته وفائدته وخطورته.

١٤ـ دعـــاء

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يُسعـدك بقدر ما اسعدتينى طيلة عمر كامل . وأن تتسامى بك الأيـام كما تساميت بنفسك إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه بشر حين شىء لنا أن نتحول بعلاقتنا من مدار الاقتران إلى مدار الارتباط .. وأن يحفظ عليك على الـدوام – نعمتى الطهر والعفاف ، وقيم الطاعة والاخلاص ، وروح البنوة البارة . وأن يجعل لك غداً أسعد من كل غـد ، ومن كل أمس كذلك ، وأن يـديم لك كل ذكرى طيبـة وذكر حسن.

رسائل الاغتراب

فى رحلة الأيام السبعة

اليوم الأول

الحياة هنا مملة بعيداً عمن نحبهم ، النظام جميل لكن العواطف الدافئة أجمل منه ، التقدم هائل ولكن التعاطف أعظم منه ، اليوم يمر ببطء رغم أن كل الناس يسرعون الخطى ـ لكل شيء لون ورائحة وطعم ولكنى أرى الأشياء كلها مجردة من كل ذلك .. لأن عيونا أخرى لاتراها معى ، البلد كبير ولكنه لا يتسع لقلوبنا ، لأنها منجذبة بعيداً عنه إلى الوطن الحبيب .

وجوه الناس أجمل من بعضها ـ ولكن الوجه الغائب أجمل وأجمل ، أيادى الخلق والمخلوقات تمتد فى خدمة المرء ولكن المرء يؤثر أن تمتد يداه لخدمة أهله.

الأضواء ساطعة ولكنها لا تترك على قلوبنا إلا الشحوب ، السماء تتلبد بالغيوم وسمائى مليئة من نفسها بالغيوم ما دامت بعيدة عن الحرارة القادرة على إذابة الغيوم والجليد.

اليوم الثانى

تتوالى اللحظات فأود أن تتسارع الثوانى بأسرع مما هى ، وأن تصبح الدقائق ثوان وتصبح الساعات دقائق وتصبح الأيام ساعات .. حتى أعود إلى وطنى الحبيب   كنت أعتقد أن بالى سيخلو بعض الشيء ولكنه ازداد انشغالاً حين لا أرى ساعات القلق والخوف والحماس

وأبقى على ذكراها جميعاً فحسب .. كان بودى أن أكون هنا وحدى والآن أصبح بـودى أكثـر ألا أكـون هنـا على الاطـلاق .... ولكن سلـواى أن محبوبتى هنا لانها موجودة حيث أكون ، أتوق إلى سماع صوتها .. وإلى رؤية صفاء وجهها .. وإلى التأمـل فى نظرات عينيها . وربما أحظى غداً ببعض ذلك حين يمنحنا الله الحياة إن شاء الله .

اليوم الثالث

أتأمل حـال كل شىء حولى لـو نظرت إليـه ، لو لمستيـه ، لو أعـدت صياغته، لو انتقـدتيه، لو أبديت إعجابك به ، لـو غيرت نظرتى إليه ، لو جعلتيه هـدفا لنـا أو جعلتيه شيئـا خارج إطـار حياتنـا . أحدس كيف سيكون رأيك .. وتتداعى التخمينات ولكنى لا أجد نموذج الإجابة الذى ينبغى أن أقيس عليـه مـدى نجـاحى فى التعبير عنـك حين تكـونين إلى جوارى.

متى أجـد كتاب نماذج الإجـابـات الذى استلهمـه ؟ ليس هنـاك من يعيرنى هذا الكتاب لأنك تحتفظين بالنسخة الوحيدة

اليوم الرابع

تترامى إلى سمعـى أصـداء من إعجـابك أو انتقـادك أو عطفك أورجاءاتك . وتترامى فى سمعى تنهداتك واهاتك وانتصاراتك

وابحث عن كل هذا فيما حـولى من أنغام متزامنة فـلا أجد الصدى ، ولا النغم ... لعل فى وسعى أن ألجأ إلى الأحلام . وهل تسعفنى الاحلام. دعينا نرى!

اليوم الخامس

لا أستطيع أن أصور لك مدى شوقى إلى الحديث إليك حديثا لايتباطأ به القلم وإنما ينطلق به اللسان .. ويندفع مع كل دقة وعى يبثها قلبى إلى عينىّ لتقويا على النظر إلى وجهك والتمتع بصفائه ، وإلى شخصك والتمتع ببهائه ، وإلى أذنىّ لتسمعا دقات قلبك عن قرب أو لتحاولا التسمع إليها .لا أستطيع هذا التصور ، ولكنى أستطيع أن أعبر عن هذا الشوق بأن أقول لك ما يقوله البسطاء فى قوة تعبير رهيبة عندما يقولون . وحشتونا

اليوم السادس

فى حياتنا متسع لكل الآمال وليس فيها متسع لكثير من الحقائق ، ربما تنمو الآمال على حساب الحقائق وربما تمتص الحقائق غذاء الآمال قبل أن تصل الآمال إليه فى سعيها إلى أن تكون حقائق .

ما هذا النزاع بين الحقائق والآمال ، من الذى ينتصر؟ كل الناس يقولون إن الحقائق تنتصر لأنها الحاضر ، ولكن الزمن وحده يقول إن الآمال تنتصر لأنها المستقبل .

اليوم السابع

بينما كنت أحلم بعناقك الأبدى أبت الحياة إلا أن تشدنى إلى الحراك ...شاء الله لى أن أترك فى الخيال طيفك لأعيش طيفا أخر فى الحياة .. الحياة التى تفقد كثيراً من ذاتيتها بالبعد عنك ولكنها تحتفظ بخصوصيتها فى الحالين حال القرب وحال الوجود عن بعد .. ترى هل تشعرين بما أشعر به .

رسائل الافتراق

١- إلى فتاتى المتفردة

لا أستطيع رغم بعد المسافة أن أنساك ، وكيف لى أن أنساك ، كيف أنسى الابتسامة المشرقة الكفيلة بأن يرتاح الإنسان إلى يومه القادم وأن يستريح من عناء ليلته الفائتة . وكل ما قبلها من أيام وليال ، كيف أنسى الوجه الصبوح دقيق الملامح الذى تعزف انطباعاته أحلى سيمفونية فى كل انفعال وكل رد حتى فى الأحاديث التلقائية ، والتقليدية.. كيف أنسى النشاط الذى تبذلينه فى هدوء كأنك لا تفعلين شيئا ، وكيف أنسى أن هذا النشاط يزيدك وقارا وحكمة، ولا يدفعك أبداً إلى ما يدفع إليه الأخريات من فقدان الاتزان أو تقليل الوقار تحت دعاوى مقبولة أومتقبلة ؟؟

كيف أنسى الذكاء اللماح السريع النفاذ الذى يقدر لكل شىء قدره فلا ينقص ولا يزيد ، ويعطى كل فرد حقه فلا يظلم ولا يجور.

كيف أنسى روحاً تفاءلت بالحياة وللحياة على الرغم من أن الحياة لم تعطها بعد القدر الذى يظن الناس أنه يستحق كل هذا التفاؤل.

كيف أنسى جمال الخُلق الذى لا يتبرم من كثرة المساعدات التى تقدمينها إلى كل عابر سبيل. وكيف أنسى رقة الطابع وأنت تقدمين

المعونـة كأنك تتلقينها ولا تقـدمينها وكيف أنسـاك وأنت تتلقين كلمة الشكر بحياء الشاكر قبل امتنان المشكور.

كيف أنسى النمـوذج الحى للمـلاك البشرى ، فى تعـاليـه عن كل السمات الشيطانية فى حياة البشر ، وفى تنميته لكل ما من شأنه أن يرفع من قيمة الإنسان حين يتمثل الإنسان العلـوى فى ذلك النموذج الذى هو أنت.

هل من المعقول أن نجد فى زماننا هـذا واحدةً من طرازك. هل يتكرر وجهك فى حيـاتنـا هنـا؟ هل أجـد لك نظيرا ، هل أجـد من تتمتع ببعض مـزاياك . لـو كـان فى وسعك يافتـاتى أن تعـرفى لى شبيهة بك فـدلينى عليها..

هل أنت نمـوذج فريد فى دنيـاى هذه شـاء الله لى أن أنعم بمعـرفته لأعرف إلى مدى يمكن للقيم الرفيعة مع الجمال الرقيق أن تتجسد دفعة واحدة فى شخص واحد هو أنت.

هل ألومك بعد ذلك على هذا الموقف الذى أجد نفسى فيه كلما هممت بـالاقتران بشريكـة حيـاة، وتـذكـرتك فأجـد القمم الشـاهقـة فى هـذه الاختيارات وقـد تواضعت تماماً عنـد وقوفها إلى جـوارك !! فانكص عن الاختيار. هل أنت يافتاتى تمثلين الطمـوح الذى يذهب بقيمة كل إنجاز؟ أم هل أنت يافتاتى النهاية التى لا بد أن تنتهى دونها اللانهايات؟

إنى مشفق على نفسى التى سعـدت بمعـرفتك، والنـاس يفخـرون بأنهم زاروا من عجائب الدنيا السبع وزاروا من البلاد ما زاروا ، وعرفوا من الأعلام والنجوم مـا عرفوا .. ولكن معرفتك ياسيدى معـرفة قاسية

جعلتنى أنظر إلى كل مـا جاء بعدها فى حجمه الحقيقى إذا مـا قورن بك وبنشاطك وخلقك وشخصيتك

هل تدركين مدى تأثير هذا اللمعان الذى يُغلف نظراتك والذى يجعل عينيك تتحـركان من وراء إطـار جميل من الصفـاء والشفافيـة . . هل تدركين أنـه كفيل بأن يفتح لحدثـك أفاق الأمل فيما ينتظره مـن وقائع الزمن وأن يجعله يستطلع كل ما يأتى عليـه من شفافية كتلك الشفافية التى يستطلع بها نظراتك . وما وراء نظراتك.

دعينـا نتكلم عما وراء نظراتك ، هل تخفى نظـراتك شيئـا لا تبديـه للوهلـة الأولى؟ أم هل تخفى نظراتـك ما لا يحسن لها أن تبديـه .. أنت تظنين هذا .. ولكنى أقـول إن هذا تواضـع منـك فى حق نظراتك التى هى أسمى من هـذا بكثير، إنها لا تخفى إلا تلك اللمحـات التى لا تظهـر إلا بالإخفاء .. تلك اللمحات التى تغنى بالتلميح عن التصريح.

ثم هـذا اللسـان الجميل الـذى لا يـدخل فى مكونـاته إلا أحلى أنـواع المسكرات وهو فى ذات الوقت يخلو مـن كل أنواع المسكرات. هذا اللسـان الذى ينطق دائما وأبداً فى حكمة .. سواء أسرع بالقول أو تباطأ فيه – هل تستطيعين أن تـدليننى على التـاريخ الطـويـل لـه حتى وصل بـالعقل أوبالطبع إلى ماهو عليه الآن من رقه اللفظ ، وحياء الكلمة ، ودقة المعنى ، وصـدق الشعـور؟ هل تستطيعين بل هل يمكنك أن تكشفى لى عن السر الذى جعل لهذا اللســان كل حلاوته ســواء تكلم أو طلب أو أمر أو سأل أوقرر أو رجا أو أجاب .. أو حتى صمت؟ أم أنك فى الغالب لن تستطيعى أن تبوحى بهذا السر المكنون الذى انفـردت به من دون نسـاء العالمين فى زماننا؟ .

يكفينى منك كل هـذا، بل بعض هذا .. ولكنى أكـون مقصرا فى حقك إذا أنا تجاوزت الحديث عن هذا التـاج الذى يزين رأسك، وكيف يمضى رمزاً للجمال القُدسى من دون أن تمتد إليه يد، ثم إذا هـو يستجيب فى طـواعية ورشـاقة لك فيضيف إلى جمالك الأصلى اعترافـا بجمال صنيع يدك فيه. فإذا أنت تتحـولين به إلى مـلاك أجمل صنعه ملاك فنـان من مـلاك جميل.. وأنت لحسن الحظ الملاك الأول ، والملاك الثـانى، والملاك الثالث.

هل يجوز أن اتحدث فى النهايـة عن ذوقك الأخاذ فى اختيـار ملابس بسيطة جداً .. ولكنها ملابس ملاك ربما لو ارتداها البشر الذين نعرفهم مـا وصل اعجابنـا بها واحدا فى المائة من إعجـابنا بها حين تنـال الحظ فترتدينها.

٢- إلى فتاتى الطائشة

أدرك تمام الإدارك يافتاتى الرقيقة مدى تقديرك الكريم لكل خدماتى المتـواضعـة التى وفقنى اللـه لادائهـا لشخصك النبيل الـذى يستحق أضعافهـا إلى مالا نهاية ... وليتنى كنت أكثـر طاقة وأكثر قـدرة وأكثر فراغا حتى أقدم بعض ما تستحقين.

وأدرك أيضا أن كل هذا لا يمثل بالنسبة لك شيئـا يذكر إذا ما قورن بذلك الرباط القوى الذى يضـم قلبينا فى قلب واحد ينبض لك ولك وحدك بالحب الـذى لا ينتهى .. وحين يحبك هذا القلب بـالجزء منه الـذى كان قلبى فى الأصل فهـو يعبر عن أسمـى مـا يمكن أن يعبر ، وهـو فى نفس

الـوقت يعبر عن أسمى ما كـان ينبغى له أن يصل إليـه . بل عن أسمى مما كان يطمح أن يصل إليه .. وحين يحبك هذا القلب نفسه بالجزء الذى كان فيما مضى قلبك فهـو يعبر وقد عبر فعلاً ـ عن أسمى أيـات العطاء المتنامى واللامتناهى .. العطاء الـذى لا تقيده كما قلت لك مراراً ماديات زائلة .. وتستبقيه بعد ذلك معنويات لا حدود لها لروحانيات أعمق بدت لنا دائما وكأننـا بشـخصينا نمثل حـدودها التى يستحيل لها أن تـوجد خارج إطارها على النحو الذى توجد فيه داخل هذا الإطار !!

نعم يافتاتى أدرك أن الله سبحانه وتعالى حين أنعم علينا بهذا اللقاء المتواصل بين روحينـا فقد أنعم علينـا بتلك النعمة التى لم يعـرفها ولم يتخيلها كثيرٌ جـداً من خلقه .. وأعرف أن حـرماننا من هـذا اللقاء يمثل بالنسبة لكلينا نكسة شديدة ، ربما تكون كفيلة بأن تودى بكل ما تبقى من سحر الحيـاة إلا أن يشاء اللـه رب العالمين لى حياة أخـرى .. أعرف تمامـاً أن قرار انفصـالنـا قرار قـاس قـد لا يبلغ الانتحار نفســه مبلغ قسوته لأننا ننفصل ونحن فى قمة سعادتنا واستمتاعنا بكل ما أثمره و ما سيظل يثمره لقـاؤنا الذى كان ... والذى ســوف يظل يكون حتى لو أردنا وقررنا ونفذنا وأكدنا ألا يكون .

نعم أيها الروح الجميل الذى تهفو إليـه نفسى فيهفو إليها .. ويهفو إلى نفسى فيجدها هائمة فى انتظاره .. نعم أيها القلب الكبير الذى يتسع لحب لا ينتهى ، ولا يكف عن الانقباض لا لشىء إلا ليطرد بقوة مركزية طاردة كل دواعى البغضاء والكراهية لكل من يستحقونها .. نعم ياأيتها النفس الحالمة التى ارتفعت بى وبنفســى وبشـخصى الضعيف إلى أرفع

مـدارك العلا جمالاً وجـلالاً وكمالاً .. نعم أيها الحب الـذى كان والـذى سوف يكـون .. نعم أيها الفكر النـاقد حتى بـدون ترتيب . نعـم أيتها الذاكرة المحبة حتى بـدون تنسيق .. نعم أيتها الحياة الذى يستحيل كل مـا سواهـا إلى عدم .. وكـل ما بعـدها ومـا قبلهـا إلى ندم . نعم أيتهـا الموسيقى التى تطربنى حين تعبر عنك .. وتعبر عنى فتطربنى .. نعم أيها النغم الباقى فى جوارحى وجوانحى ما بقيت هذه الجوارح والجوانح .

نعم لا بـد لنا أن ننفصل بعد كـل هذا الذى نحـن فيه لأنك تريـدين الانفصال ولأنى لا أستطيع ـ أو هكذا عودنا نفسينا ـ أن أرد لك رغبة مهما كانت عميقـة فى نفسك ، وبعيدة عن منطقك ولسـانك ... حتى وإن تعارضت مع ما أريد من وفاق و وصال

لا أتعسف يا فتاتى الرقيقة فى التعبير عن أفكار تظنين أننى ابتدعها لك أو أجريها على لسانك وفكرك وهما منها براء . أؤكد لى أنى لا أختلق لك رغبة ولا ألجأ إلى مثل هـذا الأسلوب لأعبر عن رغبة لى . قـد لا أعرف أنك تصـــدقينى وربما يصعب عليـك أن تصـــدقينـى الآن .. ولكن صدقينى. هذه رغبتك أنت ، وأنت وحدك.

هل تصـدقين أنه مرت حتى الآن أربعـة شهور لم تطـاوعك نفسك فيها للاعتذار عن شرخ كبير أحدثتيه فى نفسى هل تصدقين أنك لازلت مع كل هـذا الذى أتحدث فيه كـل يوم عازمـة على ذلك التصرف الأحمق الذى لا أجد لـوضعه عبارة خيراً من التمثل بقول القائل ذبح الـدجاجة التى تبيض ذهباً .. وإنى لمستاء أن استعير هذا الوصف للتعبير عن الثقة الكبيرة التى بيننـا . هل تصدقين أنـك فى كل يوم تصممين (وربما بـلا وعى منك) على إظهار الحكمة الجوفاء بالامتثال لنصائح عمياء لم تقدك

فيما مضى إلا إلى العناد .. والفشل أيضاً .. هل تصدقين أنك مصممة تماماً على الانحياز إلى صوت المخاطرة بالانتحار لمجرد إثبات الشجاعة الكاذبة لأناس لا يهمهم أمرك على الاطلاق وليتك تثبتينها لهم من أجل سعادتهم .. ولكنك تفعلين ذلك لشىء واحد هو إقناع نفسك (وللأسف هى نفسك الجميلة الرقيقة) بإنك قادرة على تنفيذ النصائح الشريرة بقدر ما أنت قادرة على الانتفاع بالنصائح الخيرة .

ومع هذا كله لا أستطيع أن أنكر عليك شيئا مما تفعلين ، فحبى لك يمنعنى من ذلك.. وعطفى على أعصابك المتعبة والمنهكة يحول بينى وبين أن اندفع إلى ذكر أى حقيقة مهما صغرت لأنها حقائق مرة تماماً .. ومع كل هذا أكرر لك تنازلى مقدما عن وجهة نظرى تماما .. وأطلب إليك بكل ما بيننا أو ببعض ما بيننا بل ببعض بعض ما بيننا أن تستجيبى إلى طلب بسيط ومتواضع .. وأسألك هل هذا من حقى .. فتؤكدين لى أنه من حقى .. ولا زلت أسألك فتؤكدين لى أن هذا من حقى تماماً .. وأكرر لك أننى مستعد للتنازل عن طلبى إذا لم يكن من حقى فتؤكدين لى أنه حقى وأنك ستنفذين ما أشير به لأنك بالفعل تنفذين هذا الذى أشير به .. كل هذا جميل .. وأنا لا أنكر حكمتك وصدقك وعبقريتك وقدرتك على كل شىء ، ولكنى مع هذا أجدنى لا أزال فى عذاب مستمر ، وتحسين يا فتاتى بالأمس هذا العذاب وتعبرين بلفظك الكريم عن هذا المعنى بعبارة لم أتخيل يوماً نفسى قادراً على صياغتها ولا على النطق بها على لسان أى شخصية أكتب عنها .. تقولين إن هذا صار هو الموضوع الوحيد فى حياتى . وانتبه من غيبوبة عميقة فأجد أن لفظك قد عبر بالفعل عن حقيقة ربما لم أدركها تماماً كما أدركتيها .. أو كما كنت تدركينها بحكم أداتك المهنى كطبيبة ممتازة ! ثم أجدنى وقد اعتصرنى الألم الشديد اساءل نفسى · هل كانت طبيبتى تعرف الألم الذى بى ومدى تمكنه

منى.. ومع هذا كانت تزيده ازدهـاراً حينا بعد حين .. هل كانت طبيبتى تعرف المرض وتعرف أن أشياء صغيرة كفيلة بوقفه ـ بل وباستئصاله ـ ومع ذلك كـانت مصرة طيلـة الشهـور الأربعـة الماضيـة على تجاهل العلاج، بل وعلى إعطـاء الدواء الخاطىء الكفيل بتنبيـه المرض ودفعه إلى حالات النشـاط .

وجـدتنى يا فتـاتى الطبيبـة القديـرة أراجع كل أدائك المهنى طـوال عامين من تزاملنا فى علاج هذه الحالة فأجد نفسى فى حيرة شديدة . هل كنت عديم الخبرة لدرجة أننى لم أعرف الحقيقة على الاطلاق أم كنت قليل الخبرة لـدرجة أننى لم أنتبـه إلى الفرق الدقيـق بين إرادة الظروف وإرادة البشر مـادامت النتـائج واحـدة!! هل كنت عـديم الخبرة حين اعتمـدت على قلبى ولم استمع إلى نصائح أصـدقائنـا المشتركين ممن زاملـوك أكثـر ممـا زاملتك وعـرفـوا عنك مـا لم أعـرف ، لم استمع إلى نصـائحهم رغم كل ما بـذلوا من جهـد من أجل نصحى . أم أننى كنت أعيش بأوهامى أكثـر مما أعيش بأحـلامى وأعيش بأحلامى أكثـر مما أعيش بما أراه .. وأعيش بما أراه كما أحبـه لا كما يعبر عن نفسـه من تلقاء نفسه .. لا من تلقاء نفسى أنا .

تمضى الأيـام وأنت تتمنين أن أتناسى ولكنى لا أستطيع التنـاسى لأنك تتناسـين ! ولو تذكرت طلبى لتناسيتُه ! نعم لو تذكرت لنسيت !

ولا بد من يوم أضع فيـه حداً بين إرادة الظروف وإرادة البشر حتى لو تعاونت الإرادتان أو صادفتا رغبتك فى تعليق الأمور.

ولا بد من يوم أخر أوقف فيه نفسـى عند حدودها قبل أن يذهب بها ظلم الناس . ولقد كنت بالنسبة لى كل الناس

وأظن أن أوان هذين اليـومين قد فات من زمن وكنا نـوقف الزمن ،، أونظن أننا نوقفه . ولكن الزمن لا يتوقف . ربما يعيد التاريخ نفسه .. ولكن الزمن لا يعيد نفسه . وشتان بين التاريخ ... وبين الزمن !

٣- إلى فتاتى الجميلة

ظللت طوال الـوقت أفكر فى المعنى الـدقيق للبحث عن السعـادة بعد عبـاراتك الواضحـة فى شأن انتظارك من يُتـوقع منه بعث السعـادة فى نفسك الجميلـة. ذلك أنـى كنت أعتقـد (وربما سأظل اعتقـد إلا أن تستطيعى تغيير اعتقادى هذا) أن الإنسان منـا هو نفسه القادر على أن يجد سعادته فيما أمامه ، وهو القادر على أن يحيل كل أمر عادى إلى أمر باعث على السعادة، وأن يجد فى كل ما يمر به جانباً يحمل السعادة، وأن يتفهم الخير أو الجمال أو الحق أو أية قيمـة إنسانيـة ساميـة فى كل ما يصـادفه.. وليس معنى هـذا أن يكـون سعيداً على طـول الخط ، ولكن المعنى الـذى أقصده هـو أن يجد القـدرة على اكتشاف السعـادة بحيث يستطيع اكتشافها حين يجد نفسه محتاجا إليها. هذا هو جزء من المعنى الذى أود أن أنقلـه إليك لأنى أخشى أن تكونين واحـدة من أولئك الذين يؤثرون انتظار تلك السعـادة التى تأتى بها الأقدار ذات مرة، أو فى ذات شخص، وهؤلاء الذين لا أحب أن تكونى واحدة منهم ليسوا بأكثر قدرة على الحياة من الذين ينتظرون الحظ ثم هم يندبون الحظ بعد ذلك

أقول لك يافتاتى إن هؤلاء ليسـوا بأكثر قدرة على الحياة لأن الحياة مع مرور الـزمن تصبح فى حاجـة إلى قدرة عليها، فنحن حين نبـدأ هذه الحياة نجد أيـاد كثيرة تمتد إلينا حتى نصل إلى مرحلـة ينبغى علينا أن نبدأ نحن فى مد أيـدينا إلى الآخرين.. بل وفى لعب الدور الذى شـاءته لنا القدرة الالهية من أجل استمرار الحياة فينا ومن نسلنا أو من جنسنا أو على أرض الله.

ولعلك يـافتاتى الجميلة تعجبين مـن قولى "حتى نصل إلى مـرحلة ينبغى علينا فيها أن نبدأ نحن فى مد أيـدينا" وأنا أعلم ابتداء أن هناك مرحلـة انتقالية يكف فيهـا المرء عن تلقى الأيادى ولكنـه فى ذات الوقت لايكون قد بدأ فيها فى مد الأيـادى.. نعم .. ولكنها مرحلة انتقالية ويجب أن تكون انتقالية فحسب، ريثما يفكر الإنسان فيمن سيقدم إليهم يده . أو ريثما يجد هؤلاء .. أو ريثما يجده هؤلاء .. أحوال أو بدائل ثلاثة تنقل المرء فى النهاية من مرحلة إلى أخرى

ولقـد قلتِ لى يافتـاتى الجميلة ـــ فى معـرض حديثك الساحر ـــ إنك اعتمدت على نفسك فى مرحلة مبكرة،وهذا حقٌ ، ولكن الذى ينبغى لنا أن نفكر فيه هو ومـاذا بعد الاعتماد على النفس؟ هل هو الملل من الاعتماد على النفس، والبحث عن الاعتماد عن الغير؟ أنا لا أقصد أبداً أنك تفكرين هكـذا، ولا أظن كذلك للحظـة واحدة أنك تفكـرين هكذا.. ولكنى أقصـد شيئا أخـر ربما تقدرينه تمامـا وإن لم يتبادر إلى ذهننا للـوهلة الأولى ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى أطلت الحديث بالأمس فى ناحية معينة. بينما كنت أقصـد تـرسيخ هـذا المعنى ، ولعلك الآن يـافتـاتى الجميلـة تستطيعين أن تقـولى إن الإجـابة على سـؤال · ومـاذا بعـد الاعتماد على النفس؟ تكمن فى الإجابة باعتماد الغير علينـا! نعم فهذه هى المرحلة التى يجب أن يفكر الإنسان فى أن يصل إليها مبكراً ، وبخاصة إذا كان قد بدأ اعتماده على النفس مبكراً، وإذا لم ينتبه الواحد منـا يافتاتى الجميلة إلى أهمية ارتقـائه بنفسه إلى هـذه الطبقة فسـوف يبقى معتمـداً على نفسه فحسب ، وبوسعى أن أذكرك بما قلتيه لى بطـريقة مباشرة وغير مباشرة من أن التقدم المستمـر هو خير ضمان ضد التقلص المستمـر، وإذا كان لنـا أن نسعـد فى حيـاتنـا بامتـداد أعمارنـا، فإن الأجـدر بـالسعـادة وبالإحساس بالذات أو بالعظمة أو بالمجد أن نحس بامتداد شخصياتنا

وأفاقنا وأبعادنـا كلما مضى الوقت . أما التقلص (أو حتى السكون) ف ظل الشعور المؤقت بالسعـادة لما حققناه فى الماضى (من الاعتماد المبكر على النفس مثلا) فهو أول الطريق إلى الملل من هـذه الحياة التى نحياها كما عشناها بـالأمس. وثقى – يافتاتى– أنى لا أتهم ولا أتجنى، بل على العكس فـانى استـوحى كل مـا فى هـذا المعنى من ذكـائك اللماح، وشخصيتك المبهرة ، وتعليقاتك الرائعة.

ولعل هذا يقودنـا بعد ذلك يافتاتى الجميلـة إلى الحديث عن جدوى روح المبـادأة فيمن يملكونها ولا يستغلـونها (شأن شخصك الكـريم)، وأنا قد أعلم السر الذى جعلك تحتفظين بهذه الروح فى الجزء "القطبى" من العقل ، وليس من الضرورى أن أفصح لك عن هذا السبب ، بل ليس من الـلائق، ولكن مـا يهمنى أن أؤكـد لك إنك احتفظت بهذه الـروح فى المنـاخ (القطبى) على خير وجه، فقـد حفظت لها كثيراً من نقاء الطبيعـة والفطرة بعيـداً عن كثير من المؤثرات الضـارة التى تفقد فعـاليتها حين تتغلب عليها درجـات الحرارة المنخفضة .. ومع هـذا فقد احتفظت لهذه الروح (روح المبادرة) بجمال النضج وجمال (الحداثة) حيث لم يصبها الاستعمال بعد .. ولهذا فسوف يكـون من شأن هذه الروح أن تحقق فى أيام ما حققته أخواتها فى سنوات .

ولهذا فإنى أحب لهذه الروح أن تساعدك يافتاتى الجميلة فى الفترات القريبة القادمة على أن تتغلبى على محاذير العقل ، وعلى محاذير العاطفة أيضا للانتقال من مرحلة إلى أخرى.. لا أقصد المراحل التى تحدثت عنها فيما سبق فحسب، ولكنى أقصد كل مرحلة تستدعى التحول والانتقال.

أحب بعد هـذا أن أطلب منك يافتاتى الجميلـة أن تستعيدى عقليتك الرياضية لتفكرى معى فى الفارق بين مستويين من التعبير عن خطوات حركتنا، بين السرعة ، وبين العجلة ، وأنـا أعرف مدى تفوقك وتعمقك فى

تفهم الفــرق بين المفهومين الــريــاضيين، وأحب أن أستأذنك فى أن تنقلى هذا المفهوم إلى حياتنا الخاصة ، وأن تجعلى انتقالك ذا سرعة وذا عجلة . وأن تستمــدى السرعــة من خبراتك الســابقــة ، بينما تأخــذين من روح المبادرة العجلة الكفيلة بالإسراع (أو الإبطاء) فى السرعة..

ولعى أستأذنك يــافتاتى الجميلــة فى أن أزيد هــذه النقطة إيضــاحا فأقول . فلتكن سرعتك فى حياتك وصياغتها متأثرة بسرعاتك السابقة فى المراحل السابقة، أما العجلة (سواء التــزايدية أو التناقصية) التى تحدد لك الإطار الــذى تنتقلين عنده من سرعــة إلى أخرى فليكن مصدرهــا هو روح المبادرة التى عندك (تلك الــروح التى احتفظت بها بعيداً عن الناس فى الجانب القطبى من عقلك) ولتكن لهذه الــروح السيطــرة الكاملــة على اختيارك للعجلة ولمقدارها، ولتكن لها أيضا السيطرة المتاحة على الحكم على كل ما تنقلــه حواسك الصادقــة وعقلك وعاطفتك . فإذا كــانت هذه الروح قد تجمدت (لسبب أو آخر) ، فأرجو أن تبحثى عن شىء من أجل تشجيعهــا على الخروج من الجانب القطبــى من العقل لتتحكم فى العقل بالعاطفة ، وفى العاطفة بالعقل، وأظن أن هذا الشىء هو الإرادة

اسمحى لى يافتاتى الجميلة بعد هذا أن أعود إلى ما بدأنا منه الحديث وبالذات إلى نقطة البحث عن السعادة حين كنت أتحدث وكأنى أدعوك إلى عدم انتظار الصديق الكــامل ، أو فتى الأحلام الكامل (مثلا) وحين كنت أدعو إلى ضرورة الاعتماد على النفس فى استكناه السعــادة واستخراجها فى بعض الذين نقابلهم . وأنــا أوافقك تماماً بل اتعمد الإسراع بالاعتراف بأنه ليس من السهولة أن نجد هذه القدرة متوافقة مع الناس جميعاً فلا شــك أن هـــذا أمــر صعب.. ولكن الــذى لا أشـــك فيـــه أن عـــندنا جميـــعا قدرة هائلة على التغلب على ما يبدو وكأنه اختلاف لا سبيل إلى اصلاحه

بيد أنى أحب أن أؤكد لك يافتاتى الجميلة على معنى هام يتعلق بهذا الأمر، وهو الدور الذى يمكن لك شخصياً أن تلعبيه فى تحويل صفات حبيبك من صفات لا تتوافقين معها إلى صفات تتمنينها.. وهنا أحب أن تتذكرى أن كل فضيلة ليست إلا وسطا بين رذيلتين إحداهما إفراط والأخرى تفريط . ولكن الافراط فى رأيى هو الرذيلة الأفضل لأنها القابلة للاصلاح.. ولهذا فإن روح الطبيب المعالج فى السيدة الحكيمة التى هى من طرازك يستسهل علاج أصحاب الأخلاق المفرطة عن علاج الذى يفتقدون الطبيعة من أصلها.. وفى الإمكان مثلا أقلمة التهور وتحويله إلى شجاعة بينما قد يكون من المستحيل بعث الحمية فى أصحاب الجمود أو البرود .. كذلك فإن فى الإمكان الحد من إنفاق المسرفين (ولا أقصد الإنفاق المالى فحسب) ، بينما يبقى من المستحيل دفع المقترين والممسكين إلى الإنفاق .. (وأعود فأكرر لك يافتاتى الجميلة أن هذا ينطبق على العطاء الروحى والعاطفى والإنسانى بأكثر مما ينطبق على العطاء المادى).

وهكذا أعود فأقول إن الفضيلة ليست إلا وسطا بين رذيلتين ، يمكن لإحداهما أن تتحول إلى فضيلة بسهولة ، بينما لا يمكن للأخرى أن تتحول إلا بصعوبة شديدة تقترب من حد الاستحالة.

وفى كل اللغات التى تعلمناها يافتاتى الجميلة نجدهم يسمون الصفات الدالة على الكم أو الكيف باسم مشتق من الصفة التى هى فى جانب الزيادة ، فيقولون الطول ، والسرعة ، والإرتفاع ، ولا يقولون عن ذات المعانى : القصر أو البطء أو الإنخفاض!!!

والفضيلة على درجات ... ونحن مثلا قد نحب الذين يصدقوننا القول ثمانين فى المائة خيراً من الذين يصدقوننا القول تسعين فى المائة .. بل إن لكل منا نسبة معينة هى النقطة النموذجية (أو المثالية) التى يحب

أن تـروى له الـوقـائع فى إطارهـا من الحقيقـة والصدق بل إن هـذه النسبة تتغير مع كل منا تبعا للموضوع ، فنحن فيما أنجزنا وكذلك فيما يسعدنا نميل إلى تكبير الحقيقة الصادقة ، ونحن فيما يحزننا أو يحوطنا من مشكـلات نميل إلى التخفيف والتقليل من قيمة الحقـائق القاسيـة.. ومع هذا نبقى صادقين.

بيد أن التكبير والتصغير فى الحقائق قد يقترب بـالفضيلة من حدود الرذيلة (التى على يمينها أو على شمالها) وليس هناك خط فاصل أو حاد بين الفضيلـة المكبرة، وبين رذيلة الإفـراط، كذلك فـانه ليس هنـاك خط فاصل بين الفضيلة المصغرة وبين رذيلـة التفريط إنما ينبع هذا الخط من الأعـراف المستقرة فى مجتمع مـا ولهذا فـإن مثل هـذا الخط ليس ثابتـا فى جميع المجتمعات فهـو يميل إلى اليسار فى مجتمع إذا مـا قورن بميله إلى اليمين فى مجتمع أخر . أمـا فيما بين الصديقين أو الزوجين أو الأخوين فإن الحدود التى يمشـى فيها هذا الخط ليست إلا نتـاج اتفاق روحيهما وهو اتفاق خاص جداً قد لا تتعدى معرفة تفاصيله الروح إلى اللسان.

أما قدرتنـا على تطويع درجات الفضائل (أو تحويل الـرذائل القابلة للعلاج إلى فضائل) فإنها تستمـد فعاليتها من الجانب الأخر بـأكثر مما تستمـدها من أنفسنـا .. وهذا هـو المعنى الـذى أقدر تمامـا– يافتـاتى الجميلـة– إيمانك العميق بـه. وهـو الإيمان الـذى يعكس سمـو عقلك الواعى إلى الواقعية، وسمو نفسك الكريمة إلى التواضع . ومع هذا فإنى أحب أن أؤكد لك ما يؤمن به كلانا من أن على الطرف الأخر دوراً وواجبا فى هذا المجـال، وأن عليه أن يبذل من الجهـد كل ما هو قـادر عليه حتى يكون قد أدى واجبه نحو نفسه . ولا أقول نحو شريكه.

ولعلك تتسـاءلين الآن – ببراءة فؤادك يافتـاتى الجميلة – عـن مدى الضمان لتقبل الطرف الآخر للتغيير الذى تودين إحداثه وهنا أحب أن

أصدقك القول أن ثقافة هذا الشريك الواسعة التى لا تفتأين تتحدثين عنها هى خير ضمان لتطوره مع شريكه إلى ما يريدان أن تصبح عليه صورتهما معا وصورة كل منهما على انفراد.. أقول هذا وأنا لا أعرف إن كنت تعتقدين فى صواب هذا أم أنك شأن كثيرين من الناس تعتقدين فى أن العكس هو الصحيح، وأن اتساع الثقافة أو العلم كفيل باعتزاز صاحبهما بموقفه وآرائه.

دعينى إذن يافتاتى الجميلة آخذك بعيداً عن هذا المعنى إلى شىء آخر، مما أتناوله فى مهنتى الطبية كل يوم مع القلوب، وأنت تعرفين أن القلب (من وجهة نظركم الهندسية) ليس إلا المضخة التى تدفع بالدم إلى جميع أعضاء الجسم.. وأنت تعرفين أن القلب يمر فى كل دورة من دوراته بدورى الانقباض (حيث يدفع الدم) والانبساط (فيما بين انقباضة وانقباضة). ولأن القلب مضخة كما علمتمونا فإن وظيفته الانقباضية تتمتع بالأهمية الأولى بحيث إذا توقف عن الانقباض فقد توقف عن العمل.. ولكن هناك يافتاتى جانباً آخر أعمق من هذا بكثير ، ولعلك لم تسمعى بعد عن الوظيفة الانبساطية للقلب وأهميتها القصوى. ذلك أن القلب إذا لم يستطع الانبساط فلن يمتلىء وبالتالى فسوف تقل جدوى الانقباض لأن الانقباض ليس مفيداً فى حد ذاته، وإنما لأنه يدفع ما كان موجوداً فى القلب فى نهاية الانبساط إلى الجسم... وعلى هذا يافتاتى فلا تنتظرى من القلب الذى لا يستطيع الانبساط أن يكون قادراً على الوفاء بالاحتياجات المطلوبة منه كمضخة.

لعلك تسألين بعد هذا يافتاتى الجميلة عن هذه الخاصية الكفيلة بنجاح القلب فى أداء وظيفته الانبساطية .. ولعلك لا تجدين صعوبة فى أن تدركى أن هذه الخاصية هى "الطواعية" .. الطواعية التى يصفون بها أحد أنواع الحديد الذى لا يفله إلا الحديد كما يقولون .. والطواعية

يافتاتى لا تتأتى للعقـول الفارغة وإنما تتأتى للعقول الحافلة بـالثقافة الواسـعـة ، والمعرفـة العميقة ، والتجـربة الانسـانية الحقـة ، وليس من سبيل إلى تحقيق طواعية العقل عن غير هذا الطريق . وها أنت ذا ترين أن خير ضمان لك فى تحقيق مـا تبغين من توافق هـو مقدار الطواعيـة التى عند شريكك وهو المقـدار الذى يتوافق تماما مع ما قـد تعترفين له به من ثقافة ومعرفة وتجربة .

٤- إلى فتاتى الفاتنة

إن اعتقادك الطاغى بقوة شخصيتك يافتاتى هو مصدر ضعف هذه الشخصية الرقيقة، فأنت تعتقدين (ولا أقول تظنين) فى قوة شخصيتك اعتقادا أكيـداً ، وبوسعى أن استنتج أن هـذا كان نتيجة سماعك حـديثا متكررا وطويلا عن هذه القوة كما تراءت لشخص أخر أحببت فيه بعض الخصال ومنهـا حديثـه، ومع هذا فأنت فى الحقيقـة شخصية أبعـد ما تكون عن أن توصف بالقوة، وليس فى هذا ما ينقص من قدر شخصيتك العظيمة ابدا   فأحيانا لا تكون القوة والعظمة من الخصال التى تمضى فى رفقة بعضها فى طريق واحـد.. وهناك فى شخصيتك يافتاتى كثير من العوامل التى تتعارض فى مجموعهـا مع قوة الشخصية حتى وإن كانت كل صفة منها لا تمانع فى أن تقترن بقوة الشخصية، ولكن اجتماعها مع بعضها يحول فى النهاية بين قوة الشخصية وبين أن تصل إليك. فعطفك الكريم على كل ما هو مستحق للعطف، وانعطافك الحنون نحو كل ما هو مستحق للانعطاف، حبك للأطفال الصغـار، شغفك بالراحة بعد العناء، حنينك إلى صـدر حنـون، ميلك إلى كثير من الميتـافـزيقـات، تفسيراتك

الجاهـزة ، والمعدة جيـداً لكثير من الأمـور، سرعـة خاطـرك فيما يتعلق بالمستقبل ، اغضاؤك عن كثير من تفاصيل الماضـى، اعلاؤك لقيمة الأمل، تغلبيك الحذر على التفـاؤل، والتفـاؤل على التـوجس ، والتـوجس على الاطمئنان، والاطمئنـان على اليقين، تقديـرك للأبعـاد الروحيـة فى عالم لايحب الـروحـانيات، حيـاؤك حتى فيما يتعلق بـالغـائبين... كل هـذا يـافتـاتى وغيره يجتمع فى شخصيتك الفـاتنة و يتفـاعل فـلا يجعلهـا شخصية قوية كما تعتقدين .. ولكنه يجعلها شخصية عظيمة كما يجب أن يكون الاعتقاد .

ثم دعينى اسـألك هل نحن الـذين نسعـد بقـوة الشخصيـة أم الآخـرون؟ واسمحى لى أن أُبسط السؤال فأقـول هل سعـادتنا بقـوة شخصيتنـا تفوق سعـادة الآخـرين بها؟ أم أن سعـادة الآخرين بقـوة شخصيتنا تفـوق سعادتنـا بها؟ أعلم أنك الآن سوف تثيريـن السؤال المنطقى ما المراد بالآخرين ؟ وهو نفسه السؤال الذى أريد.

٥- إلى فتـاتى الودود

تسـألينى يافتـاتى لماذا أنا غـاضب منك طوال الـوقت لا نكاد نتفق حتى نختلف ، ولا نكـاد نلتقى حتى نفترق ، ولا نكاد نسعـد بالصحبـة حتى نعـود إلى الـوحـدة، تسـألينى وأنت تعـرفين تمامـاً أنك أنت التى تتسرعين بصياغة الخلاف ، فتحـولين اختلاف الرأى إلى باعـث للفرقة، وتحولين بين نفسك وبين تقبل الحقيقـة، وبين الإصغـاء للنصح ، ثم تعـودين فتأسرين نفسى بـاعترافك أنك كنت فى عجلـة من أمـرك ، وتشكرين لى صبرى عليك ، وتحملى لك ، لاعتذارك مرة بعد أخرى .

بيد أن جانبا من عقلك الواعى وجانبا أخر من عقلك غير الواعى يأبيان عليك إلا أن تدركى أن للصبر حدودا، وأن افتراقا (بالتالى) من تلك الافتراقات قد يكون الأخير، ولهذا فأنت مشفقة من هذا الأخير، ولكنك لا تعرفينه على وجه التحديد، وبدلا من أن تحتاطى منه أو له، فإنك تجاهدين فى استعجاله تماما كصاحب المثل القديم الذى كان يفضل وقوع البلاء على انتظاره، ومع هذا فإن الافتراق الأخير الذى تتخوفين منه لا يأتى أبداً .. أو هكذا يهيىء لك . والصبر الذى له حدود عند كل الناس بات غير ذى حدود واضحة لك فيما يتعلق بصبرى، وهكذا أصبحت يافتاتى ممزقة الوعى تماماً بين خوف تدركين أسبابه، ورجاء لا تملكين أسبابه

وأنا لا أشك ولا أشكك فى أنك تشعرين نحوى بعاطفة الحب، ولا فى أنك أحسست جذوتها تؤثر فيك وفى عواطفك وشخصك. ثم إنى لا أحب لك أن تشعرى بأنك أخطأت عندما اخترت، ولا عندما اصررت على اختيارك، ولكن الذى أشك فيه (وأحب لك أن تتشككى أنت الأخرى فيه) هو مدى قدرتك على بناء الحب. فمن شأن الذين يحبون الحب أن يبنوا له معابد أو هياكل أو تماثيل أو صوراً فى أذهانهم وتخيلاتهم ولا يزالون كل يوم يضيفون إلى النماذج التى تصورها لها نفوسهم، بيد أنك يافتاتى فى حالتنا التى نتحدث عنها تستعملين المِعول بأكثر مما يستطيع المعول نفسه أن يتحمل، فأنت لا تكفين- أبدا- عن ممارسة كل ما من شأنه أن يغضبنى ، وأن يجعلنى ابتعد عنك أو أتباعد عنك.. ومن أعجب ما يمكن أنك تصرين على أن تطلبى منى ألا أتوانى فى توجيهك إلى

الصـواب كلما أخطأتِ أو ارتكبتِ ما يغضبنى، وأحيـانا مـا اقنع نفسى أنك تريدين هذا فعلاً ، فإذا نصحتك النصيحة وأظهرت اقتناعك بها، لم تمض دقيقتان حين كنت تتعمدين أن تعملى بنقيضـها تماما ، وأن تهملى النصيحة. وطلبى ووعـودك، وأن تدمرى جسور الثقـة التى كنت قد شرعت تحاولين بناءها .

من العجيب يافتاتى أن شـأنك فى هذا الأمر شأن المريض الذى يأتى إليك يسـألك التشخيص والعلاج ثم هو لا يهمل تعاطى الدواء فحسب ، ولا يهمل شراءه فحسب ، ولا يهمل شـأنـه فحسب، ولكنـه يمـزق لك الـروشته أمـام عينيك.. صحيح أنـه لا يـرميها فى وجهك ، ولكنـه يُطير أوراقها فى الفضـاء الذى تسرحين بناظرك فيه!!

هذا هو شـأنك يافتاتى فى الدورات المتعاقبة من لقاءاتك التى لا أعدم فيها المشقة الفكرية التى يجيدها ممتهنو التدريس حين يصرون على ألا يتركوا تلميـدهم إلا بعد أن يُجردوا له كل المعـانى، ويصوروا له مـا هو روحانى بكل مـا هو مـادى.. وهى متعة غـريبة الشأن، ولكنى اعترف يـافتاتى أننى كنت أسعـد بها لأنى كنت أمـرن نفسى على حبك ولكنى اليوم للأسف الشديد مللت هذه المتعة إلى الأبد

٦- إلى فتاتى الرقيقة

لا تحاولى يـافتاتى أن تُقنعى نفسك بأن الـدنيا كلهـا هكذا.. كهـذه الـدنيا التى مـرت بك فى تجارب العمل المعدودة التى تظنينهـا عديـدة وثقى أن هناك من المشكـلات ما تصغر بل وتتضاءل وتتواضـع أمامه

المشكلات التى تعيشينها اليوم لا أريد بهذا أن أطلب إليك تغيير التجارب حتى تجدى أناسا معصومين من الخطأ. لكنى أريد أن أذكرك بالمعنى الذى سبق إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لأصحابه .. لو لم تذنبوا، لخلق الله أناسا يذنبون ليتوب عليهم .. حياتنا يافتاتى مجموعة كبيرة من الأخطاء والخطايا يتخللها العمل الصالح. وعلينا إذا أردنا سعادة الآخرة أن نبحث عن العمل الصالح فى أعمالنا وننميه، وإذا أردنا سعادة الدنيا أن نبحث عن العمل الصالح فى أعمال غيرنا فنتنفع به ، ونسعى إليه، ونحاول تقليده ، ونذكره على الدوام

بيد أن الذى لا بد للمرء منه هو أن ينتبه إلى أهمية وضع طاقاته فى المكان اللائق بها أو الذى يتيح لها أن تتحول فيه إلى طاقات أخرى أكثر إفادة له أو للمجتمع، أو لهما معا فهذا هو الأمثل

٧- إلى فتاتى الطيّبة!

لا تعتقدى يافتاتى أن الذنب ذنبى فى عدم انجذابى إليك، فالانجذاب يافتاتى ليس فعلا إيجابيا يستمد قوته من صاحبه، وإنما هو فى المقام الأول تأثر بطرف أخر، تماماً كما يحدث فى المجال المغناطيسى حين يؤثر القطب ذو القوة الأقوى على ما حوله فيجذبه إليه. لا تلومينى إذن على هذا الجفاء الذى تزعمين، وإنما ابحثى فى نفسك اللوامة على قدرة تأثيرية تجذبنى إليها بنفس القدر الذى تقولين إنك منجذبة إلى شخصى. أوبقدر أقل ما يمكننى من الانجذاب... لا تعتقدى أبداً اننى مقصر فى هذا الاتجاه.. ولكن ابحثى دائما عن الوسيلة التى تكفل لك قدرة على هذا التأثير المطلوب. التأثير الذى اتمناه أنا بأكثر مما تتمنينه و بأكثر مما تبذلين فى سبيله

تتعجبين يافتاتى لانصراف عن حديثك مع أننى أحب سماع أحاديث كثير من البشر حتى أولئك الذين لا يتحدثون ولكن هناك فرقا كبيراً جداً بين كثرة الحديث عن شيء لا بد من كثرة الحديث عنه، وكثرة الحديث عن لا شيء. ففى الحالة الأولى تظهرالثقافة وأفاقها ومدارك الشخص وتجاربه . أما الحديث عن لا شيء فلا يظهر إلا شيئا واحدا ليس هناك اسم واضح له وإن كان الناس يسمونه باسماء مختلفة تبدأ باللغو.

وأحب أن أذكرك يافتاتى أن للحديث فى حد ذاته متعة، ولكن المتعة الأورع قد تتأتى من مدى التوافق الذى يكون بين المتحادثين. أقول التوافق ولا أقول التطابق وأنت تعلمين الفرق بين التوافق والتطابق.

إن أشد ما يؤلمنى يافتاتى هو أنك لا تستطيعين التمييز السهل بين التبسط والتبذل. فنحن حين نتبذل نهمل جانبا كبيراً من اعتزازنا بأنفسنا، ونحن حين نتبسط نبذل من اعتزازنا بأنفسنا اعتزازاً بالآخرين. والدافع مختلف جداً فى الحالتين، ففى التبسط هناك اعتزاز بأخرين يستحقون هذا الاعتزاز، أو نحب لهم أن يكونوا هكذا... بينما ينفق التبذل من الاعتزاز ومن النفس بلا داع حقيقى.

وأنت تكثرين من هذا الانفاق بلا داع، وأنا أعرف أن الجانب الأعمق لهذه الخصلة كثيرا ما يكون هو الرغبة فى العطاء . ولكن الذى لا شك فيه أن الرغبة فى العطاء لا بد لها أن تجد المكان المثمر حيث يكون العطاء ذا جدوى وليس مجرد إهدار لا معنى له.

٨-إلى فتاتى الفاضلة

إنك يافتاتى تبحثين عن قشرة الـذهب التى تغلف ما تحتها على حين أنك تدركين تمام الأدراك أن بين يديك سبيكة ممتازة من الذهب الثمين.. ولكنك تـؤثـرين مشاهـدة القشرة الـذهبية الممتـدة أمـام عينيك على أن تمتلكى السبيكة لتصنعى منها ما تشاءين .

ولعلك يافتاتى على حق فى هذا الموقف الذى تتخذينه من الحياة، فإن طبيعة الحياة اليوم جعلتنا نؤثر البضاعة الجاهزة على المادة الخام، حتى وإن دفعنا من أعمارنـا ثمن التجهيز لأننا نظن أن التجهيز سيأخـذ منا قدرا من أعمارنا. لا شك أننا انهزمنا أمام التكنـولوجيا التى تقدم لنا ما نريد دفعة واحدة، وليس فى هذا لوم كبير على غرائزنا البشرية ، ولكنه بلا شك عـار على الجانب الأعلى من فطـرتنـا التى كـان لها أن تتقبل هـذه الرسائل ابتغاء التسهيل والتيسير لا الاستعباد والانبهار..

ربما انساقت البشرية فى تجاربها السـابقة فى أوقات كثيرة إلى عبادة آلهة من صنعهـا وحين نما العقل البشرى وتخطى هذه المرحلـة عادت الغرائز الدنيا لتفرض عليه الهة جديدة ، لم تكن فى واقع الأمر إلا أشكالا حققت للبشريـة بعض السعـادة تجاه مواقف بعينهـا وهكـذا أصبح البعض اليوم يعبد الديمقراطية التى لم تكن إلا شكلا للوصول إلى عدالة الحكم وقـدرتـه والمضى فى سبيـل الصـواب ، وأصبح البعض يعبـد التكنـولـوجيـا التى لم تكن إلا وسيلـة لتحقيق التطبيق العلمى السليم لحقـائق العلم فى الانتاج. وهـا أنت تعبـدين قشرة الذهب مع أن طـريق السعادة يتحقق بكل قوة إذا حرصت على سبيكة الذهب التى بين يديك!!

وهانـذا اكتشف اليوم.. والفضل لك – أن البعـض ربما أصبح يعبد الانطباع السريع (الذى لم يكن إلا وسيلـة عاجلـة لمحاولـة الحكم على الأمور) وقـواعد السلـوك الاجتماعى التقليدى (التى لم تكـن إلا وسيلة استاتيكية للتعبير عن الأخلاق فى مجتمعات مغلقة).

وأنا أتحفظ ولا أريد أن أقول إن البعض ربما أصبح يعتقد فى الطلاء. ولكنى مع هذا أخشى أن يكون فى هذا الظن جانب كبير من الحقيقة!

٩- إلى فتـاتى الحائرة

أريد أن أسـألك سؤالا بسيطاً وأريد منك عليه جواباً مختصراً فى كلمة واحدة هى إحدى كلمتين تعرفينهما جيداً ، ولكل من الكلمتين وقع جميل ومستقبل جميل أولاهما تعنى الالتـــزام بكل مــا فيـه من مسئــوليـة ومشقة... والثانية تعنى معان جميلة كالحرية والانطلاق والاستقلال .

ولا أريدك أن تتعجلى فى الإجابـة فإن سؤالى نفسه أخذ وقتـا طويلاً حتى صيغ ، ولا أظن أنــه من العـدل أن يطلب إليك أن تجيبى فى دقــائق حتى وإن لم تكن معـدودة على ســؤال صيغ فى أشهــر حتى وإن تكن معدودات !!

أريـد أن أطلب إليك أن تسألى نفسك ماذا يكـون هذا الســؤال ، ربما لاتحسبين نفسك قادرة على استشفافــه . ولكن الأغلب أنك متأكدة من أنك تعرفين السؤال!!

دعينا نتصــور أولا أنك تعرفينــه وأجيبى عليه !! ثم دعينــا نتصور ثــانيا أنك تظنيــه وأجيبى على ما تظنيــه !! ثم دعينا نتصــور ثالثــا أنك لاتــدرين شيئــا عن هــذا السؤال ، وأنــه لا بــد لك أن تخمنى ســؤالا؟ !! فخمنى وأجيبى على ما تـخمنين !!!

ولا بــد أنك ستصلين إلى جـواب فى أى من الأحـوال الثـلاثـة . فإذا وصلت إلى جواب ما فأرجو أن تسألى نفسك عن الطريق إلى الهدف الذى تبغين .. وأنــا كفيل بعــد ذلك بتحقيق ما تهدفين إليــه – من أى الطـرق تختارين .. ولكن لا بد فى البدء من نعم أو لا"!

أما أنــا فظنى أنك ستجيبين بجملــة طويلة تقــول . "نعم أو لا .. أم نعم أو لا ؟؟ هــذا هــو الجواب الــذى أظن أنــك ستضعيــه أمــامى فأنت لاترفضـين ولكنك تجيبين دومــا بالإيجاب أو بإعادة الســؤال " والحياة التى تعتمد على مــواجهتها بــالإيجاب أو بإعادة الكـرة إلى ملعب الحياة حياة لا تنتهى !! حتى وإن انتهت أجساد أصـحابها .. ولكنها تقتضيهم جهادا مستميتاً يحولون به كل شىء إلى إيجاب فيحولون الظلام نوراً .. والجهل علما .. والعجــز قدرة ... واليأس أمــلاً .. والخيانــة إخلاصــا والكـراهيــة حبــاً .. والماضى مستقبــلاً . والأمل واقعــاً . والخســارة مكسبا.. والمشكلة حلولا.. والصعب سـهلاً .. والفناء وجوداً .. والانتهاء ابتداء . ويحولون قبل ذلك الأنانية إلى عطاء ، والعطاء إلى وفاء ، والوفاء إلى ولاء ، والــولاء إلى انتماء والانتماء إلى تــوحــد حتى يسعـدهم نجــاح

الحبيب بأكثر مما يسعدهم نجاحهم فإذا لم يصلوا إلى هذا القدر ظل حبهم ناقصاً وظلوا فى حاجة إلى جهاد أخر يواصلون به جهادهم الكفيل بتحويل الظلام نوراً.. والجهل علما .. والعجز قدرة .. الخ) .

١٠- إلى فتاتى الأولى والأخيرة

ما جدوى أن أكتب بعض ما فى قلبى إذا كنت تعرفين كل ما فى هذا القلب؟

كتب للمؤلف

١ ـ الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً ،
(الكتاب الفائز بجائزة مجمع اللغة العربية الأولى فى الأدب العربى عام ١٩٧٨) .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٢ ـ مشرّفة بين الذرة والذروة،
[نال عنه المؤلف جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم عام ١٩٨٢]
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٠

٣ ـ كلمات القرآن التى لا نستعملها (دراسة تطبيقية لنظرية العينات اللفظية) ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٤ ـ يرحمهم الله (كلمات فى تأبين بعض الشخصيات)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٥ ـ من بين سطور حياتنا الأدبية (دراسات أدبية)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤

٦ ـ الدكتور أحمد زكى ، حياته ، وفكره ، وأدبه .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٧ ـ مايسترو العبور المشير أحمد اسماعيل،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٨ ـ سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٨٤

٩ ـ الدكتور على باشا إبراهيم ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

١٠ ـ الحلول الجزئية هى الأجدى أحيانا .. مستقبلنا فى مصر،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

١١ ـ التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة،
الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٨٦

١٢ ـ الدكتور سليمان عزمى ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦

١٣ـ الدكتور نجيب محفوظ ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦
١٤ـ دليل الخبرات الطبية القومية مع مقدمة وافية عن تاريخ وحاضر مؤسسات التعليم الطبى المصرية ،
مركز الإعلام والنشر الطبى ، الجمعية المصرية للأطباء الشبان ، ١٩٨٧
١٥ ـ الصحة والطب والعلاج فى مصر ،
جامعة الزقازيق ، ١٩٨٧ .
١٦ـ توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية ، المكتبة الثقافية ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .
١٧ ـ رحلات شاب مسلم ،
دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩
١٨ـالببليوجرافيا القومية للطب المصرى ، الجزء الأول والثانى ١٩٨٩ ،
الجزء الثالث والرابع ١٩٩٠ ، الأجزاء من الخامس وحتى الثامن ١٩٩١ .
الأكاديمية الطبية العسكرية ، وزارة الدفاع ، القاهرة .
١٩ـمنهج أدباء التنوير فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية ،
رابطة الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠ .
الطبعة الثانية أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى ، دار الشروق ، ١٩٩٤ .
٢٠ ـ مجلة الثقافة [١٩٣٩ ـ ١٩٥٢] : تعريف وفهرسة وتوثيق ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .
٢١ ـ شمس الأصيل فى أمريكا (من أدب الرحلات) ،
دار الشروق ، ١٩٩٤ .
٢٢ ـ أوراق القلب (رسائل وجدانية) ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤
٢٣ ـ مذكرات وزراء الثورة [دراسة تشريحية تاريخية نقدية لعشر مذكرات سياسية]
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
٢٤ ـ المحافظون (قوائم كاملة ، وفهارس تفصيلية وأبجدية ، ودراسة لتسلسل وتطور اختيار المحافظين منذ بدء الإدارة المحلية فى ١٩٦٠ وحتى الآن) ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤

المحتويات

رقم الإيداع ١١٣٤٩ / ٩٤
I.S.B.N. 977-09-0256-X

مطابع الشروق
القاهرة ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣